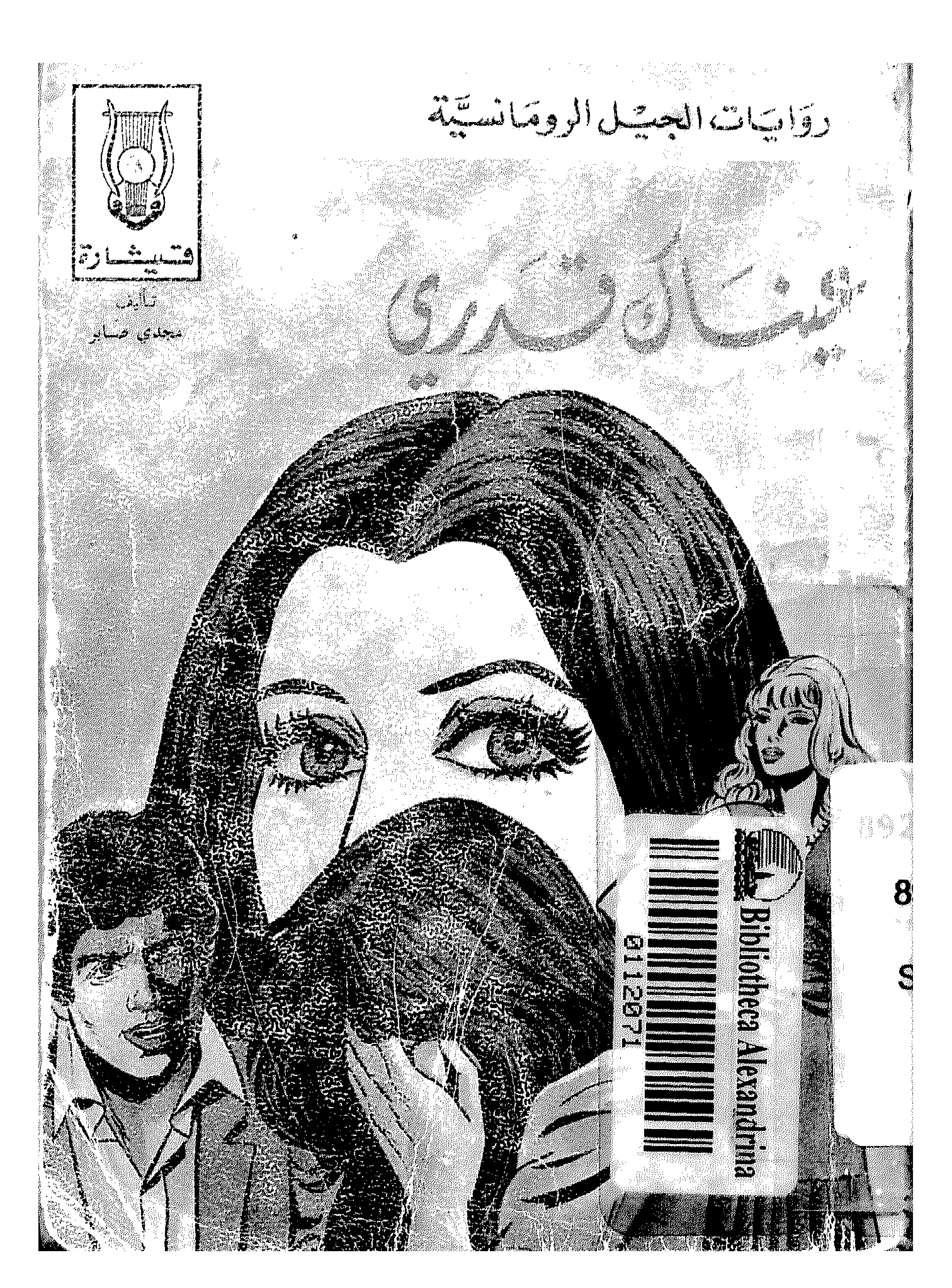
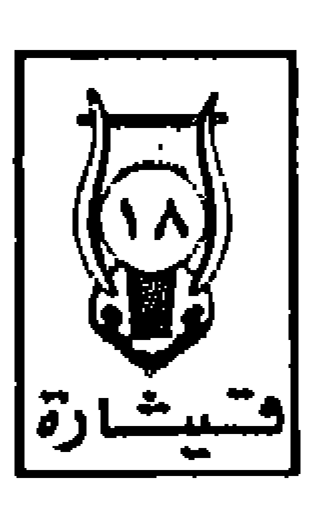


روايات الجيل الرومانسية
قيثارة
تأليف
مجدي صابر



روايات الجيل الرومانسيّة ١٨

عيناك قدري

تأليف
مجدي صابر

دار الجيل
بيروت

الطبعة الأولى
١٤١٦ هـ - ١٩٩٥ م

تلك الساحرة

أخذ «كريم» طريقه بصعوبة بالغة وسط زحام الجالسين الذين أخذهم الحماس بالتصفيق للفتاة التي راحت ترقص في وسط دائرة ضيقة في المكان المكتظ ، وراحت تتلوى منثنية في مهارة مع صوت المطرب الشاب المنبعث من جهاز الكاسيت وأنغام الموسيقى الصاخبة .

كان العروسان جالسين في ركن الحجرة وقد وقف بعض المدعوين بجوارهما لالتقاط الصور . . فابتسم «كريم» رغما عنه لمشهدهما . . كان طول الاثنين غير متناسب على الإطلاق ، فالعريس قصير ذو رأس قاربت على الصلع بالرغم من أن عمره لم يتعد الواحد والثلاثين ، وبدت بذلته السوداء واسعة عليه بشكل مضحك . أما العروس فكانت طويلة طولاً مبالغاً فيه لدرجة أن الفارق في الطول بينهما بدا واضحاً حتى في

جلوسهما. . وكان الفارق في السن بينهما أيضاً يصل الى خمسة عشر عاماً!

وعندما لمح العريس ابن عمه.هتف: «كريم». . ما الذي أخّرك كل هذا الوقت؟

فاحتضنه «كريم» بفرحة حقيقية. . كانت صداقتهما اقوى من رباط قرابته له كإبن عم. . ومنذ سنوات كانت بين الاثنين منافسة شريفة في امتحان الثانوية العامة، فلما حصلا على مجموع متقارب اختار «ماهر» دراسة طب الاسنان باعتبارها تضمن له دخلاً محترماً، على حين اختار «كريم» دراسة الصحافة كمهنة تمنى عمره كله ان يحترفها.

وهمس «كريم» يقول لابن عمه كاتماً ضحكة: إن بذلتك تبدو واسعة جداً عليك. . هل اقترضتها من شخص بدين؟

فتلفت «ماهر» حوله قلقاً خشية أن تكون عروسه قد سمعت ما قاله ابن عمه، وهمس في غيظ قائلاً: هذه أرخص بدلة وجدتها. . أما مسألة المقاس فهي مشكلة فرعية لا تؤثر على جوهر الأمور.

كتم «كريم» ابتسامته. . فالجميع كانوا يعلمون عن «ماهر» انه بخيل وان اي زبون اذا ذهب لعيادته من اجل خلع ضرس

بمبلغ ثلاثة جنيهات أقنعه «ماهر» بضرورة خلع اسنانه كلها وتركيب طاقم صناعي بخمسمائة جنيه!!

وهمس «ماهر» مواصلاً في غيظ: أنت تعرف اننا لا نحصل على أجرنا الا بخلع الضرس!!

قال «كريم» ضاحكاً: لقد صرت أشك في اي شخص في «مصر» يقوم بتركيب اسنان صناعية، تكون انت المسؤول عن ذلك!

ثم مد يده مصافحا العروس فجاوبته بابتسامة كشفت عن صف أسنانها الامامي غير المتناسق، وكان من قام بتجميلها بارعاً حقاً إذ تمكن من إخفاء تلك الهالات السوداء تحت عينيها بسبب إصابتها المزمنة بالكلي.. أما خصلات شعرها الساقطة فوق وجهها على شكل «قصة»، فقد أخفت ذلك الحول الملحوظ في عينها اليسرى.. ولكن.. كان من المستحيل ان تتمكن اي مساحيق تجميل في العالم من اخفاء ذلك الانف الذي يقارب طوله شبراً كاملاً.

وكان من الواضح ان الاغراء الوحيد الذي اقنع عائلتها الثرية، بترويج ابنتهم التي لا تعدو ان تكون طفلة كبيرة الى «ماهر»، هو انه طبيب اسنان.. وهم قد اعتادوا على شراء كل شيء بنقودهم.

ومال «كـريم» على ابن عمـه هامسـاً في مداعـبة: إن عـروستك «سميحة» رائعة وانت تستحقها حقاً!

ولكن الدعابة الساخرة لم يكن لها اي اثر على «ماهر» واجابه:

ـ لا يهـمني رأيك وآراء الآخرين من أصحـاب المبادئ التي لا تطعم طفـلاً صـغيراً . . فـيكفي ان والد عـروستي يمتلك الملايين ، والتي سأرثها منه بعد وفاته بالطبع!

وأكـمـل في بعض الأسى مـتنهـداً: ولـكن المؤسف ان عـمره اربعون عاماً فقط ويتمتع بصـحة ممتازة ، وربما انتظر وقتاً طويلاً قبل ان ارثه واتمتّع بماله .

هز «كريم» رأسـه موافقـاً وقال مشـفقاً: وربما تمـوت انت قبله يا عزيزي فيرثك هو!

حملق «ماهر» في «كريم» بعينين ذاهلتين اذ بدا انه يفكر في ذلك الخاطر لاول مرة .

واختار «كريم» مقـعداً مجاوراً واشعل سيجارة مـراقباً تلك الفتاة الجميلة التي نهضت لترقص . كانت جميلة حقاً ومثيرة ذات قوام رائع وملفـوف وكان فستانهـا غالياً دون شك . . وكذلك العـقد الماسي حول جيدها يساوي ثروة وحده .

وعندما بدأت الرقص تعالى تصفيق وهتاف الحاضرين في نشوة. وكانت تجيد الرقص الى درجة كبيرة، وعندما استدارت لتطوح شعرها حول رأسها رمقت «كريم» بنظرة خاطفة متفحصة. كانت لها عينان واسعتان جريئتان، تتراقص فيهما رغبات وامنيات لا حصر لها وتبين فيهما جرأة غير عادية.

وصفق «كريم» لها بعد ان انهت رقصتها فرمته بابتسامة مشجعة.. ولكن عينيها الجريئتين لم تشجعاه على أن يتبادل معها حديثاً ما بالرغم من دعوتها الصريحة فلم تكن العيون الجريئة تجذبه على الإطلاق.

وتنهد وشردت افكاره بعيداً.. كثيراً ما كان يدعى الى اعراس اصدقائه واقاربه فيبارك للجميع ويتلقى العبارات المتمنية بالسعادة.. والعثور على صاحبة النصيب، وتظل عيناه تجوبان صفحة وجوه كل المدعوات دون ان يعثر على بغيته..

ظل يبحث عنها في كل مكان دون كلل.. وكثيرون سألوه عنها.. عن شكلها.. قوامها.. صوتها.. وكان يهز كتفيه في حيرة.. هو ايضاً لا يعرف كأنه يبحث عن شيء مجهول، وهو يقول لنفسه: إنني ابحث عن فتاة تخطف

بصري وقلبي عندما تقع عليها عيناي للمرة الاولى فلا أتركها بعد ذلك للأبد ولا يفرقنا غير الموت . . ولا يهمني ان كانت سمراء او بيضاء . . طويلة او قصيرة . . غنية ام فقيرة .

ولم تكن لهذه الفتاة مواصفات محددة في عقله . . غير ان تخطف مشاعره منذ الوهلة الاولى .

اقتربت منه الفتاة التي كانت ترقص منذ قليل ، بدا واضحاً انها لم تفقد الامل فيه بعد بالرغم من عدم تلبيته نظرات عينيها . . ولمح «كريم» اصابعها خالية من اي خواتم خطوبة او زواج . . ولم يشك في انها فعلت نفس الشيء معه . واخذت مقعداً مجاوراً له وقالت باسمة تقدم نفسها إسمي «نشوى» . .

إبتسم «كريم» لحيلتها المكشوفة لتقديم نفسها واجابها: وانا «كريم» .

فقالت بابتسامة اوسع: انا ابنة خالة العروس ، فهل انت قريب للعريس؟

كان صوتها دافئاً به اغراء مريح فأجابها «كريم» وهو يبادلها ابتسامتها: انا ابن عمه . .

كتمت ضحكتها وقالت: ولكن لا يبدو عليك ذلك .

ادرك «كريم» ما تقصده وقال: ان الاخوة لا يتشابهون في طباعهم واخلاقهم.

فتأملته لحظة وسألته: وما مهنتك؟

ـ انا صحفي.

ـ رائع.

هتفت بها في اعجاب وان كان «كريم» قد شك في انها تعرف مهنته من قبل.. خاصة وصورته وتحقيقاته المثيرة تنشرها جريدته كل يوم. ومالت «نشوى» نحوه مكملة فتسلل الى انفه عطرها الثمين: لقد تمنيت ان اكون صحفية او مذيعة في التلفزيون.. ولكن قدري ألقى بي في كلية الحقوق.

أجابها باسماً: لا يبدو ان مهنة المحاماة تناسبك.

مطت شفتيها في عدم رضا قائلة: إن والدي رجل اعمال شهير وقد اراد ان تكون ابنته محامية لتتولى قضاياه بنفسها.

وأخرجت من حقيبتها بطاقة صغيرة مدتها الى «كريم» بأصابع منمقة قائلة:

ـ هذه بطاقة بإسم ابي وعنوان مكتبه.. وانا اكون في مكتبه عادة من العاشرة صباحاً حتى الثالثة.

ومالت هامسة في صوت خاص: سيسعد والدي ان يراك ويتعرف عليك . . .

ونهضت وهي ترمقه بنظرة طويلة مشجعة . . فأتاحت له ان يتملى من عينيها . . كانتا جميلتين ثائرتين . . لا تواريان اي مشاعر ولا تخجلان من جرأتهما .

ولكن «كريم» هز رأسه في بعض الحزن ، فلم تكن من النوع الذي يعجبه بالرغم من جمالها وثراء عائلتها . ودس البطاقة في جيبه وهم بمغادرة ذلك الصخب عندما توقف بصره عند فتاة رآها فجأة تتوسط المكان يتألق منها بهاء منقطع النظير ووجهها يشع بضياء لا مثيل له . . كأنما انبعث منها عطر ساحر فواح اسكره وادار رأسه . .

كانت ملائكية الشكل . . ملامحها دقيقة رقيقة كأنها برغم سنواتها التي تخطت العشرين ليست غير طفلة نضجت توا ، وكان قوامها متوسط الطول والامتلاء رائع التفاصيل والقسمات . . وشفتاها الرقيقتان كأنهما ما خلقتا الا للتغريد . . اما عيناها فكانتا ساحرتين تخطفان الالباب ، لونهما اخضر صافٍ بلون الفيروز النقي ، كأنهما نجمتان تتألقان في ليل حالك السواد . . فراقبها «كريم» ببصره في انفعال محصياً كل خلجاتها .

ومـالت تلك الفـتـاة الســاحــرة على العــروس تبـارك لهــا وتقبلها . . فـانتشر شعرها بـلون الحناء فوق وجهها فـبدا وكأنه ستائر من شهد الجنة تحميها من عيون المتطفلين .

حبس «كريم» شـهقته عندما شـاهدها . . أحس انه عثر على بغيته التي طال بحثه عنها . . على الفور تعلق بصره بأصابعها في نظرة مـتلهفـة . . ولكن من مكانه لم يتح له ان يتـمعن ويبـحث عن خاتم خطوبة او زواج . . ولـكنه قدر أنها غـير متـزوجة . . كان جمـالها ملائكياً عـذرياً يستحيـل ان يكون قد اقتحـمته يد رجل اياً كان او عانقت انفاسه انفاس رجل ما .

تسمر «كريم» مكانه يراقبهـا حتى شاهدها تصافح «ماهر» ثم تسير مبتعدة وتنضم الى بعـض صديقاتها . . على الفور قفز من مقـعده صـوب ابن عمه وسـأله متلهـفاً: أخـبرني عن هذه الفـتاة التي صافحتك توا .

قال متسائلاً: هل تقصد «نيفين» ؟

ردد «كريم» اسـمهـا همسـاً في شوق: «نيـفين» . . يا له من اسم ساحر .

حـدق «مـاهر» صـوبه في دهشـة بالـغة مـسـتنـكراً: هل اعجبتك؟؟

اجابه «كريم» في لهفة: بل سحرتني . . انها الفتاة التي ظللت ابحث عنها سنوات طويلة وهأنذا قد عثرت عليها اخيراً في لحظة غير متوقعة على الاطلاق، ولكنها اجمل لحظة في حياتي.

فقال «ماهر» في استنكار اشد: ولكنها فتاة فقيرة . . ان والدها موظف صغير جداً يعتمد على راتبه الضئيل.

تعلق بصر «كريم» بها . . تنبه انها ترتدي ملابس شائعة رخيصة ولكنها تتميز بالبساطة والجمال . . وكان عنقها خالياً من اي حلي، وحتى اذناها . . ولكنه استدار نحو ابن عمه في اصرار قائلاً: لا يهمني فقرها او غناها، انني اريد ان اعرف كل شيء عنها.

قال «ماهر» مرغماً: انها قريبة لـ «سميحة» من بعيد وقد حصلت على بكالوريوس التجارة هذا العام فقط.

هتف «كريم» في سرور: ان هذا معناه ان عمرها اثنان وعشرون عاماً والفارق بيننا تسع سنوات فقط . . هذا رائع.

ولكن «ماهر» هز رأسه كمن يستعد لاتقاء صدمة وقال لابن عمه: إني اعرف ولعك بتلك الامور الرومانسية يا ابن عمي العزيز، ولكن يؤسفني ان اخبرك عن شيء آخر اعرفه عن «نيفين».

سأله «كريم»: ما هو؟

فأجابه «ماهر» في صوت شامت: انها مرتبطة بقريب لها.

صدمته العبارة.. أحس «كريم» كأن بركاناً انفجر في وجهه.. ثرثر «ماهر» بعدها بكلمات كثيرة ولكن «كريم» لم يع شيئاً مما قال..

أحس انه سيختنق.. والقى نظرة اخيرة على تلك الساحرة ولم يقو على إطالة النظر وقد شعر انه يتطفل على شيء لن يكون له ابداً مهما حاول، كأنها صارت بعيدة عنه نائية الى آخر العالم.. يستحيل عليه ان يمتلكها مهما سعى.

ونهض بأقدام متخاذلة.. توجه صوب الباب فصاح «ماهر» به من الخلف: الى اين انت ذاهب.. سوف يأتي العشاء حالاً.

ولكنه غادر المكان وفي جوفه رغبة بإفراغ كل ما فيه.

وصدمه الهواء البارد في الخارج واعاد اليه بعضاً من وعيه.

كان يريد ان يصرخ.. يصيح بأعلى صوته.. يشكو للناس جميعاً من سخرية القدر.. ولكن كان الطريق ساكناً مظلماً لا يعبره انسان. وكان عليه قطعه وحده وقلبه يتمزق ألماً.

* * *

المفاجأة

وانقضت ايام شعر «كريم» انه لايكاد يعي ما يقوله . . كأنه كان في حلم افاق منه على كابوس مؤلم .

وظل لأيام متتالية يخيل له انه يشاهد «نيفين» في كل مكان يذهب اليه . . ويلمح وجهها على وجه كل انسان يصادفه . وصورة عينيها الفيروزيتين تسقطانه في دوامة لا قرار لها .

وغمغم لنفسه اخيراً في ألم: لم تعد هناك فائدة مما افعله بنفسي . . ولن يعيدها الحزن لي . . وسأعتبر كأنني لم ارها واعجب بها .

وكان ما يطلبه من نفسه امراً قاسياً ، ولكنه حاول احتماله بالانغماس في عمله . ثم كان عليه الذهاب الى ابن عمه ليبارك له زواجه . وحصل «كريم» على العنوان في الحي الراقي .

كان المسكن فاخراً من عدة غرف في عمارة راقية . .

الاثاث يدل على ثراء من اشتراه . . وان كان يدل على وضاعة ذوقه وانحداره .

واستقبله «ماهر» محتضناً في قوة ، وربت على كتفه في سرور شديد قائلاً: كيف حالك؟

هز «كريم» كتفيه في لا مبالاة مجيباً: كما ترى لا جديد .

فقال «ماهر» في فخر وهو يتأمل المكان حوله: لا بد أنك تحسدني على هذا الاثاث الفاخر وتلك الشقة الرائعة .

ـ كأنك سعيد .

ـ ولماذا لا اسعد وقد امتلكت مثل هذه الشقة الفاخرة؟

ـ انها ملك زوجتك وليست لك .

ـ وما الفارق بيني وبينها؟

ـ الفارق كبير . . يوما ما ربما تشعر به .

دق «ماهر» على صدره في فخر قائلاً: دعك من هذه الاوهام ، انني رجل البيت وسيستحيل على اي انسان ان يغير هذه الصفة ابداً .

ومال على ابن عمه هامساً: ان زوجتي لا تستطيع مخالفة اي امر لي . . فهي مثل شمعة تحترق لإسعادي بكل الطرق . . ولا تنس انها ليست سوى طفلة بالنسبة لي يمكنني ان احركها كما اشاء!

وما كاد يتم عبارته حتى أهلت «سميحة» في قميص طويل فاخر فبتر «ماهر» عبارته ونهض وقد ارتسمت فوق وجهه ابتسامة نفاق عريضة هاتفاً: أهلاً بأجمل العرائس وست الحسن والجمال.

وامتدت يده في لهفة مفتعلة يقبل اطراف اصابعها، فرمته «سميحة» بنظرة باسمة فيها شيء من التعالي، ومدت يداً مسلمة على «كريم» وجلست على مقربة.. واقبل خادم في ملابس مزركشة يدفع عربة فوقها اصناف غالية من الحلوى والفاكهة، فقال «ماهر» وهو يقدم بعضها لـ «كريم»: إن حماي رجل «كريم» بحق.. هو يرسل لنا كل ما نحتاجه يوماً بيوم ولا يبخل علينا بشيء.

لم يعلق «كريم» وتكدرت ملامحه بطيف يأبى ان يفارقه ونهضت «سميحة» معتذرة بتغيير ملابسها وغادرت الصالة الواسعة. ولاحظ «ماهر» تجهم «كريم» فسأله: ماذا بك؟

ولكن «كريم» اشاح بوجهه بعيداً دون ان ينطق، فضاقت عينا «ماهر» قبل ان يقول: لقد فهمت.. انها تلك الفتاة «نيفين».. لقد بدأت رومانسيتك في النواح وسكب الاحزان أليس كذلك؟!.

واضاف متهكماً: كان الافضل لك ان تصبح كاتب قصص رومانسياً بدلاً من صحفي التحقيقات المثيرة.

انتفض «كريم» في غضب صائحاً: لا أسمح لك بالسخرية من مشاعري.

فحدجه «ماهر» بنظرة خبيثة قائلاً: رويدك رويدك.. هل تعلقت بها الى هذا الحد؟

ورمقه «كريم» بدوره بنظرة مقطبة هامساً: لو انك تفهم في مثل هذه المشاعر لأخبرتك بما أحسه الآن.

ابتسم «ماهر» في مكر وقال: واذا كانت هناك اخبار سعيدة لك.. فماذا ستكون مكافأتي؟

- اخبار سعيدة.. ما هي؟

- «نيفين».

هزه سماع الاسم فهتف في لهفة: ما بالها؟

- انها ليست مرتبطة بأي انسان.

- ماذا؟

قفز «كريم» من مقعده، وقد اخذته المفاجأة، ثم تقلصت ملامحه واشار نحو «ماهر» في غضب قائلاً: هل عدت للسخرية بي؟

ولكن «ماهر» قال في جدية: لا . . أؤكد لك . . فقد استفسرت منها بنفسي عندما جاءتنا للمباركة على الزواج امس .

ـ ماذا تقول . . ولكن . . ما هي حكاية قريبها هذا؟

هز «ماهر» كتفيه في عدم اهتمام قائلاً: لقد فسرت لنا الامر بأنها في كل مكان تذهب اليه ، كانت تجد من يحاول مضايقتها او مغازلتها والتقرب منها بدعوى انه يريد خطبتها . . فاخترعت هذه القصة لإبعاد امثال اولئك المشاغبين .

اتسعت عينا «كريم» ببهجة طاغية . . بدا الامر وكأنه حلم او حل سحري . واندفع نحو «ماهر» وهزه من كتفيه صائحاً في فرحة طاغية: هل تقول الحق؟

فهتف متألماً: أؤكد لك ، ولكن ابعد يديك عني واهدأ .

عاود «كريم» الجلوس بأنفاس لاهثة . . واقبلت «سميحة» وقد ارتدت فستاناً ذا الوان صاخبة يدل على ذوق لا رقة فيه ، وقالت لـ «كريم»: إن ما يخبرك به «ماهر» هو الحق . . والاكثر من ذلك انني تحدثت معها بشأن استعدادها للزواج اذا ما تقدم لها شاب مناسب وجاد فلم تمانع .

سألها «كريم» متلهفاً: هل تقصدينني؟

أجابته باسمة: بالطبع ومن غيرك .

قال «كريم» ورأسه تدور: لا أكاد اصدق . . كأنني في حلم .

مال «ماهر» هامساً لـ «كريم»: ولكن لا تزال امامك فرصة اخيرة للتفكير . . فهي من اسرة متواضعة ولن يمكنها حتى ان تأتيك بشقة او اي اثاث . .

صاح «كريم» في فرحة: لا اريد منها شيئاً على الاطلاق .

ورمت «سميحة» زوجها بنظرة غاضبة فأصابه الارتباك وقال في تلعثم: بالطبع ان الرجل لا يطمع في شيء من زوجته غير حبها . . مثلما حدث معي انا و«سميحة» . . فقد ربط الحب بيننا قبل اي شيء آخر!

فرمت «سميحة» زوجها بنظرة طويلة كانت تحمل معاني كثيرة . . وقد بدت برغم سنوات عمرها القليلة ذات نضوج منحته لها ثروة ابيها .

وقالت «سميحة» لـ «كريم»: ان كانت لا تزال لديك رغبة في الارتباط بها ، فيمكنني ان ادبر موعداً لك مع والدها . . .

أجابها في انفعال: هذا هو ما اريده بالفعل . . .

قالت «سميحة»: حسناً . . سوف اتصل بوالدها بعد قليل لتحديد موعد مقابلتك له . . وفي المساء يمكنك الاتصال بنا لأخبرك بهذا الموعد .

قال «ماهر» : وانا سأذهب معك طبعاً لأخطبها لك .

نهض «كـريم» شـاكـراً وهو يكاد يطيـر من السـعـادة . .

واوصله «ماهر» الى باب الشقة وهمس له وهو يودعـه: امامك فرصة اخيرة للتفكير، فهي من اسـرة متواضـعة ولن تستفـيد بزواجك منها اي شيء.

وغمـز بعينيه مـضيفاً: خذ عبرة من النعيم الذي أرفل فـيه، ولا تكن هاوياً للفقر.

ولكن «كريم» لم يستمع لشيء.

وقفز السلالم وهو يصفر من شدة السعادة . .

فوجئ بـ «نشوى» وهي توقف سيارتها الفاخـرة امام مدخل العمارة . .

فتوقف «كريم» مبهـوراً يراقب السيارة التي لا يقل ثمنها عن مليـون جنيـه، ولا يملكهـا في «مـصـر» بأكـملهـا غيـر بضـعـة اشخاص يعدون على اصابع اليد الواحدة .

وما ان لمحته «نشـوى» حتى غادرت سيارتها بسـرعة واقبلت نحوه هاتفة بعينين متألقتين:

ـ «كريم»! يا للمصادفة السعيدة .

ابتسم «كريم» قائلاً: كيف حالك يا «نشوى»؟

واضاف دون حسد: إن سيارتك رائعة جداً.

فمطت شفتيها دون اهتمام قائلة: انني اغيرها كل عام. . ويضايقني ان اجد احداً آخر يمتلك مثلها.

فراقبها «كريم» ببعض الدهشة، كان من الواضح ثراء عائلتها الفاحش.

ومدت «نشوى» اصابع طويلة ممتلئة دافئة جريئة لتمس كفه، وحدقت في عينيه هامسة:

ـ انتظرت ان تجيء مكتب ابي. . ولكنك لم تأت. . .

تذكر «كريم» البطاقة التي تركتها له واغراء عينيها فقال مرتبكاً وهو يسحب كفه من اصابعها:

ـ لقد انشغلت الايام الماضية في عملي، ونسيت امر زيارتي لك تماماً.

همست في اغراء: إذن هل ننتظرك هذا المساء؟

هتف بسرعة: هذا المساء. . لا، إنني مشغول جداً. . ربما في يوم آخر فإنني متعجل.

ولوح لها بيده وقد عادت البهجة ترتسم فوق ملامحه. . ولكنها لم تيأس واندفعت خلفه وتلك الابتسامة الدافئة فوق شفتيها وهمست له: هل أوصلك بسيارتي؟

قطب «كريم» حاجبيه مفكراً ثم قال: لا بأس . . فإنني انتظر مكالمة في منزلي قد تأتي في اي وقت .

سألته بفضول: مكالمة مهمة . . ممن؟

اجابها بسرعة: من «سميحة» . . ابنة خالتك . .

سألته في شك: ولماذا؟

كان السؤال مباغتاً فتطلع اليها في حيرة . . لم يكن هناك مفر من اخبارها . . رغم يقينه بالصدمة التي ستحدثها اجابته وقال بعد تردد:

ـ انها . . انها سوف تنقل لي موعد ذهابنا الى والد «نيفين» . . لأنني انوي خطبتها .

تراجعت «نشوى» للوراء كأنها تلقت لطمة مفاجئة قاسية وصرت اسنانها . . والتهبت عيناها بغضب حار . . وارتجفت اصابعها وهمست في حدة هاتفة:

ـ ايها المخادع . . ماذا اعجبك في تلك التافهة؟

تراجع «كريم» للوراء في دهشة وقلق قائلاً : انني لم اعدك بشيء . . ولم يكن بيننا شيء ما .

ولكن صراخها علا وقد بدا اقرب الى الهيستيريا: ابتعد عني . . ابتعد عني فلا اريد ان اراك مرة اخرى .

واندفعت الى سيارتهـا . . وانطلقت بها وصـوت عجـلاتها فـوق الارض كـأنـه زئير وحـش غـاضب . . ولـولا ان قـفـز «كريم» من طريقها لدهسته عجلات سيارتها .

* * *

اتفاق

تأنق «كريم» وذهب مع «ماهر» في الموعد الذي حدده الاب. كان مدخل المنزل مظلماً تفوح من حيطانه رائحة الرطوبة ويبين تهرؤ حجارته، وقال «ماهر» في غيظ وهما يصعدان السلالم المتآكلة: أنت دائماً تهوى الفقر ولا تبصر اين تقودك خطواتك.. وتوشك ان توقع نفسك في زواج ستندم عليه طوال العمر.

نفذ صبر «كريم» وهو يهتف في ابن عمه: لقد مللت سماع هذه الكلمات منك للمرة الالف... فكف عن ترديدها كالببغاء.

فقال «ماهر» محتجاً في غيظ: وما هو عيب «نشوى» ايها الاحمق؟

- «نشوى»؟

ردد «كريم» الاسم دون ان يستوعب عقله صاحبته،
فواصل «ماهر»: هل نسيت صاحبته، ما الذي لا يعجبك فيها. . انها جميلة ووالدها احد اثرياء «مصر»، وهي معجبة بك جداً وتكاد تموت غيظاً لتجاهلك لها. .

وغمز بعينيه مواصلاً في صوت لاهث: انها وحيدة ابويها وكل ثروته باسمها.

التفت «كريم» اليه بدهشة متسائلاً: وكيف عرفت بأمرها؟

قال وهو يزفر: لقد جاءت هذا الصباح مع والدتها التي انتحت بي ركناً وحاولت اقناعي بأن اجعلك تتقدم لـ «نشوى» طالباً يدها لأنها معجبة بك، وان تنسى امر «نيفين»، وهم جميعاً تحت امرك في كل ما تطلبه.

قال «كريم» ساخراً: انا لست سلعة تباع وتشترى يا عزيزي.

قال «ماهر» متأسفاً: هذا ما أخبرت «سميحة» به وان رومانسيتك لا يغريها غير الفقر، فتعاركت معي وقالت لو كانت تعرف ان «نشوى» ابنة خالتها معجبة بك ما قامت بترتيب لقائك بوالد «نيفين».

فرمقه «كريم» في صمت. . وقال «ماهر» مرتبكاً: انني

بالطبع رجل البيت . . ولكن هناك شؤون نسائية لا أتدخل فيها .

دق «كريم» جرس الباب دون ان يعلق . . ومرت لحظات قبل ان ينفتح الباب ويطل منه وجه متجهم يتفحصهما في تقطيب . . فأحس «كريم» بارتباك لحدة النظر ، وقال «ماهر»:

ـ انني الدكتور الشهير «ماهر» ، وهذا ابن عمي الصحفي المعروف «كريم» ، ونحن على موعد بخصوص الـ . .

ولكن الرجل قاطعه قائلاً: تفضل بالدخول . . أنا والد «نيفين» .

وقادهما عبر الصالة الضيقة وهما يرمقان بعضهما بعضاً في دهشة بسبب تقطيب الرجل وتجهمه .

واستقروا اخيراً في حجرة صالون ذات اثاث قديم . . وكانت ثمة صورة لـ «نيفين» معلقة على الحائط التقطت لها منذ سنوات فبدت فيها كطفلة شقية تبتسم في مرح ، فتطلع اليها «كريم» في شغف ، ولكن صوت الاب قطع عليه استغراقه قائلاً: لم تقدم لي نفسك .

كان لا يزال على تجهمه وتقطيبه ، وأحس «كريم» ببعض الارتباك فنظر اليه «ماهر» لائماً .

ولكن «كريم» استجمع شجاعته قائلاً: لا اشك انك تعرف

انني اعمل صحفياً . . وربما تكون قد قرأت لي بعض التحقيقات الصحفية في جريدة «الاضواء» التي اعمل بها .

ـ وبعد؟

كانت لهجة الرجل غير مرحبة ولا ودودة . .

وواصل «كريم» مقطباً في بعض الضيق: إن مرتبي ممتاز ويتيح لي ان اعيش حياة «كريمة» وان أرعى اسرة ، كما انني امتلك شقة مؤثثة لا تنتظر غير العروس .

وأكمل «ماهر» بابتسامة ساخرة لوالد العروس: و«كريم» لن يكلفكم شيئاً من المصروفات فهو يعرف ظروفكم المادية ومستعد لتحمل كافة النفقات . . .

زادت تقطيبة الاب وحدق في «ماهر» بغضب مكبوت ، ونظر «كريم» لائماً لابن عمه . . وقال الاب في برود: كنت انتظر ان يأتي معك ابواك او اي احد كبير من عائلتك .

«كريم»: سوف يأتيان في المرة القادمة بإذن الله . فهما يعيشان في الريف وسيستغرق الترتيب لمجيئهما بعض الوقت .

وأقبلت «نيفين» بعد قليل . . كانت ترتدي بلوزة بيضاء ذات اكمام قصيرة وجيبة طويلة وقد عقصت شعرها بتوكة على شكل فراشة حمراء . . وفاض وجهها بابتسامة واسعة . .

اما اول ما خطف البصر فيها فكان عينيها الفيروزيتين الساحرتين .

نهض «كريم» مرحبا . . ومست اصابعه كف ««نيفين»» عندما تصافحا فدق قلبه بشدة واحس كأنه امتلك العالم في قبضته .

وجلست في مواجهته ، فواصل «كريم» تحديقه الى عينيها مبهوراً مأخوذاً . ونهض الاب قائلاً بتقطيب اشد لابنته و«كريم»: سأترككما قليلاً ليتاح لكما الحديث في حرية .

واشار لـ «ماهر» ان يتبعه . . وخطا الاثنان خارج الحجرة .

ومرت لحظة صمت و«كريم» يشعر ببعض الحرج وقليل من الضيق . . وهمست «نيفين» تقول له:

ـ ماذا بك؟

كان صوتها عذباً رقيقاً كنسمة ربيعية ، فهمس يقول في بعض الالم: يبدو ان والدك غير مرتاح لي ، فهو قد عاملني بطريقة خشنة ودون ابتسامة واحدة منذ رآنا .

اكتست عيناها بقليل من الحزن النبيل وقالت: لا تلم والدي فإنني ابنة وحيدة له ، وهو يشعر ان زواجي سيحرمه مني ، ولذلك تراه حزيناً رغماً عنه .

وصمتت لحظة ثم اضافت:

ـ وهناك سبب آخر. فبعد ان اتصلت «سميحة» بأبي وزكتك له عادت واتصلت به وطلبت منه ان يرفضك دون ان يسأل عن السبب.

تطلع «كريم» الى «نيفين» في دهشة، فواصلت في رقة: بالطبع لم يكن صعباً ان أخمن السبب.. ولكن ابي ليس ممن يسيرون على هوى البعض، ولذلك اصر على استقبالك وان يقرر بنفسه قبولك او رفضك.

اشرق وجه «كريم» وغمرته السعادة وقال: اذا كان الامر هكذا فلا بأس.. وانني اعتذر عن ملاحظتي بشأن تجهم والدك.

وطوقها بعينيه هامساً: أنت لا تدرين كم أعجبت بك عندما شاهدتك في حفل زواج «ماهر» و «سميحة».. لحظتها أحسست انني عثرت على الانسانة التي بحثت عنها طوال عمري.

ورمقها بعينين متلهفتين كأنه يؤكد لها ما يقوله، فتورد وجهها بحمرة خجل رائعة ولم تنطق، وهمس «كريم» مواصلاً: وعندما سألت عنك واخبروني انك مرتبطة كدت أجنّ الى ان اخبرني «ماهر» بالحقيقة.

ابتسمت «نيفين» عن اسنان لؤلؤية وقالت ضاحكة: ما العمل وعبارات الغزل والتودد كانت تلاحقني في كل مكان اذهب اليه، ولذلك اضطررت لاختراع هذه الكذبة الصغيرة لإبعاد هواة الغزل عن طريقي.

قال ضاحكاً: لحسن الحظ انني اكتشفت الحقيقة سريعاً.

قطبت «نيفين» حاجبيها في اهتمام متسائلة: إنني منذ اكثر من شهر لم اقرأ لك اي تحقيق في الجريدة. فما السبب يا ترى؟

اصابته الدهشة لكلماتها وقال متعجباً: وهل كنت تقرئين لي؟

أجابته دون ان تخفي اعجابها: طبعاً.. ولا استطيع ان انكر اعجابي بما تكتبه، بمغامراتك الصحفية من قبل ان اراك، واصرارك على كشف الحقيقة ومطاردة الفساد والمفسدين وكل اشكال الانحراف بالرغم مما تتعرض له من مخاطر بسبب ذلك.

حدق فيها «كريم» غير مصدق.. كانت بريئة كالنسمة لا تحتمل اي مداراة او اخفاء للحقيقة..

واصابها الارتباك لنظراته المندهشة والسعيدة في آن واحد، فقالت: وفي الحفل عندما علمت من «سميحة» انك سألت عني وعرفت شخصيتك الحقيقية اصابني شيء من الارتباك...

وغمغمت في خجل مضيفة: والسعادة ايضاً.

هتف «كريم» في سرور: لا اكاد اصدق ما اسمعه منك . . انت انسانة لا مثيل لها . . صافية مثل قطرات نبع صاف . . لا يمكن ان يخفي حقيقته لانه لم يتعود الا على النقاء والبراءة.

نكست «نيفين» رأسها في خجل وهمست: لم اتعود في حياتي على الغش واساليب الخداع والمداورة.

فمد اصابعه يرفع وجهها لأعلى . . وتملى من عينيها في وله قبل ان يهمس لها بشوق:

ـ وانا كنت عمري كله ابحث عنك.

وهتف مضيفاً في لهفة: والان بعد ان وجدتك لم يعد هناك ما يمكن ان يعطل زواجنا.

تساءلت في دهشة: بهذه السرعة؟

أجابها متلهفاً: ولماذا لا . . إن كل إمكانيات الزواج متاحة لي، وانا أؤكد لك اقتناعي بك، ومن جانب والدك يمكنه ان يذهب الى مكان عملي ليتحرى عني وعن اخلاقي . . وبعدها لن يكون هناك سبب لتأخير زواجنا . . بل إنني اقترح ان تتم الخطبة والزواج معاً في اسرع وقت . . بعد شهر مثلاً.

ـ ولكن . .

كان ثمة شجن في صوتها . . واكتست ملامحها ببعض

الحزن وارتعدت شفتاها . . وبدت كأنها توشك على البوح بشيء ما .

وهمس يسألها: ولكن ماذا . . فنحن الاثنان كل منا معجب بالآخر ولست اظن ان بقية التفاصيل تهم .

ولكنها نكست رأسها واحتقنت عيناها بلون دموي فأغمضتهما كأنها تعاني من ألم لا يطاق . .

وأصاب «كريم» الاندهاش ، وقبل ان يسألها عن سر ما تعانيه اقتحم الاب الحجرة وخلفه «ماهر» . . وراقب الاب ابنته . . فرفعت صوبه عينين متألمتين . . وبدا كأن الاثنين يتحدثان بلغة غير مفهومة . . حديث الشجن والألم .

ونهضت ««نيفين»» في تخاذل هامسة لـ «كريم»: بعد اذنك .

وغادرت المكان كالطيف قبل ان يستبقيها .

وتحرك والدها خلفها . . وجلس «ماهر» بجوار «كريم» الذي قال مندهشاً: ماذا حدث . . هناك شيء لا افهمه ، فقد كانت «نيفين» على وشك ان تخبرني بشيء لولا دخول والدها .

قال «ماهر» ساخراً: انها خجلى منه دون شك . . بالإضافة الى انه يبدو قاسياً وهي تخشاه دون شك فلم تستطع اكمال حديثك معها وغادرت المكان . . فأنت تعرف ان الفقراء لا

يملكون غير حيائهم و كرامتهم التي يعتزون بها كثيراً .

فرمقه «كريم» في تقطيب وتجهم ولم يشأ الدخول معه في نقاش لا طائل منه .

وأقبلت الام تحمل صينية فوقها بعض الحلوى والشاي . . واخذت مكانها امامهما مرحبة . .

كانت طيبة رقيقة مثل ابنتها تماماً . . يفيض وجهها بسماحة لا مثيل لها .

وأقبل الاب بعد دقائق فأخذ مكانه وقال في صوت بارد: يمكنك ان تأتي بوالديك في المرة القادمة لكي نتفق على كل التفاصيل .

همس «كريم» : شكرا لك يا عمي . . وان كنت أرغب في ان احصل منك على موافقة مبدئية بأن يكون الزواج بأسرع ما يمكن بعد شهر واحد على الاكثر .

كان يتوقع رفضاً وغضباً من رجل ليس له غير ابنة وحيدة لا يكاد يتخيلها في منزل احد سواه حتى ولو كان زوجها .

ولكن الاب نكس رأسه وبدت على ملامحه معالم صراع قاسية ، ثم همس بصوت بارد:

ـ هذه هي رغبتي ايضاً وشرطي الاول .

ابتلع «كريم» دهشته غير مصدق ، وهب واقفاً يحتضن حماه هاتفاً: شكرا لك يا عمي . . انت رجل «كريم» حقاً .

ومد يده مصافحاً ليغادر المكان ، فلم يحاول والد «نيفين» استبقاءه او دعوته على العشاء . . وبدا كأنه يتخلص من حمل ثقيل .

* * *

الصدفة

وجاء الاهل وتم الاتفاق على كل التفاصيل . . وتحدد موعد الزواج بعد شهر ليتمكن العروسان من شراء الاثاث وتجهيز عش الزوجية . . واشترى «كريم» دبلتين ارتداهما مع «نيفين» وكانا رمزاً لارتباطهما .

وكانت الايام التالية نهرا من السعادة . . فحصل «كريم» على اجازة طويلة من عمله ، واعتاد ان يذهب الى «نيفين» كل صباح فيخرجان معاً لانتقاء الاثاث . . ويمضيان النهار في جولة قبل ان يعودا وهما يطلقان ضحكات صافية قبل ان تقتل ضحكاتهما نظرات الاب الصارمة الحادة ، فيكتسي وجه ابنته على الفور بمسحة من الحزن المرير وترتجف عيناها ويختفي تألقهما الساحر ويخيم على المكان شبح من الكآبة المقبضة .

واخيراً تم تأثيث المنزل . . ولم يعد باقيا على موعد الزواج

غير يومين فقط . . وكان آخر ما ابتاعاه بعض التحف الصغيرة الجميلة التي انتقتها العروس بنفسها ، ودفع «كريم» ثمنها راضياً وحملها الى سيارته ، وعندما اخذت «نيفين» مكانها بجواره قال ضاحكاً يسألها:

ـ هل هناك شيء آخر ينقصنا؟

فتطلعت اليه عروسه بشغف ولهفة . . وبدت كأنهما تمتص رحيق حياتها من ازهار حبه . . كفراشة حائرة أضناها طول تحليق وبحث قبل أن تستقر على الزهرة الجميلة التي اختارتها .

وهمست تسأله: أخبرني يا «كريم» . . هل أنت سعيد معي؟

فتناول اطراف اصابعها وقبلها في لهفة وهو يجيبها: أنا لم أجرب السعادة الا معك . . فمن قبلك كنت امارس حياتي فآكل واشرب وانام واستيقظ واقرأ واكتب واحصل على التحقيقات المثيرة واظن ان هذه هي السعادة في ان احيا دون مشاكل تنغص عليّ حياتي . . ولكنني منذ رأيتك واخترتك ذقت طعماً آخر للسعادة . . وادركت معنى ان يخفق القلب لكلمة او نظرة . . او حتى لمسة يد . . فمجرد وجودك بقربي يمنحني سعادة لا حد لها . . واذا ما تأخرت عن موعدي دقيقة واحدة مرت علي كدهر .

نكست «نيفين» وجهها. بدا بصرها زائغاً حائراً. . كأنما تعصف بها دوامة لا تقاوم، فضغط «كريم» على كفها بين يديه في حنان قائلاً: هناك شيء يجب ان تعرفيه يا صغيرتي الحلوة. . وهو انني احبك. . احبك. . وهأنذا اعترف لك بها للمرة الالف.

رفعت عينيها الساحرتين صوبه. . بدت في عينيها فرحة طاغية. . وهمست تقول وبصرها يشرد بعيداً الى عالم آخر: أنا ايضاً لم يعد بإمكاني ان انكر أنني صرت احبك اكثر من اي شيء آخر في العالم.

ارتعدت اصابع «كريم» القابضة على كفها بين راحتيه. كانت المرة الاولى التي يسمعها منها، فأحسّ ان حروف الكلمة اخترقت مسامه واستقرت بين ضلوعه في موضع القلب، وهتف في انفعال: إنك لا تتصورين سعادتي الآن لأن اسمع هذه الكلمة منك. . فقد ظننت انني سأنتظر اعواماً طويلة قبل ان اسمعها منك. . والآن انت لا تتخيلين سعادتي او هنائي.

همست تقول له: إنني اعترف بحبي لك منذ اليوم الذي جئت طالباً فيه يدي من أبي، فاحتمالك لقسوته في معاملتك،

وموافقتك على كل طلباته المادية ، واصرارك على الارتباط بي وتلك النظرة المتلهفة في عينيك ، كل ذلك جعل قلبي يهفو اليك ويدق لأجلك . . أحببتك منذ تلك اللحظة ، وأقسمت ان اكون لك وحدك . . ولكنني خجلت من إعلان حبي لك ، فهذه هي تجربتي الاولى ، وليست لي خبرة بمثل هذه الامور ، فأنت ايضاً اول رجل في حياتي يقترب من مشاعري الى هذا الحد .

ـ انني اكاد أحلق في الآفاق من فرط السعادة . . وسعادتي قد اكتملت الان عندما تأكدت ان نبع براءتك لم تعكره اصابع او شفاه متلهفة ظمأى لينبوعك النقي الصافي .

وعادا يترامقان كأنما يتمنيان لو أن دقائق تلك اللحظة لا تنتهي ابداً . . وارتجفت شفتاها وبدا عليها كأنها موشكة على البكاء . .

قال «كريم» في دهشة يسألها: «نيفين» . . ماذا بك ايتها الحبيبة؟

تندت عيناها بالدموع ، وبدتا حمراوين بلون الدماء كأنهما ستنفجران توا . . وهربت «نيفين» من مواجهته بعيداً واغمضت عينيها في الم ، فعاد «كريم» يسألها في الحاح وقلق:

ـ ماذا بك ايتها الحبيبة؟

قالت هامسة في صوت حائر ممزق: عدني ألا تتركني مهما كانت الظروف.

تضاعف قلقه وهتف في انزعاج: أخبريني ماذا هناك؟

ـ عدني اولاً.

قالتها في رجاء وألم كأنما صار يقينها مزعزعاً.

وهمس «كريم» يقول لها في دهشة بالغة: كيف تطلبين هذا الوعد ونحن سنتزوج بعد يومين فقط؟

انفجرت في النحيب المكتوم هامسة: عدني يا «كريم».

رمقها في دهشة.. أدرك ان ثمة أمراً يجهله.. همس يقول لها بملامح مقطبة: إنني أعدك.

واجهته عيناها.. كانتا تفيضان بالدموع والألم.. وكأنها تخشى من قوة لا ترحم يمكن ان تجبره على أن يخنث بوعده.. كانت عيناها غارقتين في الدموع.. وتأملها «كريم» مقطبا وقال:

ـ لقد لاحظت منذ اليوم الاول لارتباطنا ان هناك شيئاً ما تودين لو تخبرينني عنه.. شيء يضغط عليك ويكاد يحطم اعصابك.. كنت ارى ذلك في نظراتك الحزينة وصوتك

المرتجف . . والآن اراه في ذلك الوعد الذي سألتني عنه وانت ترتجفين من الألم والمعاناة .

وفي قسوة وبرود اضاف: والآن صار من حقي ان اسألك عن ذلك السر الذي تخفينه عني؟

عضت «نيفين» شفتها بقسوة . . بدا عليها كأنها تصارع قوة اكبر منها . . وزاغت نظراتها وارتعد بدنها . وقال «كريم» هامساً: أخبريني يا «نيفين» وسأغفر لك اي خطأ .

قالت في مرارة: ليس لي ذنب فيما حدث .

أدرك انه يقترب من هدفه فعاد يسألها في اصرار: وماذا حدث؟

حدقت صوبه ثانية وهمست في الم: إنني أكاد اتمزق؛ فقد شدد عليَّ أبي الا اخبرك بهذا الامر . . ولكنني في ذات الوقت لا استطيع كتمانه عنك ، فمن حقك ان تعرف ما دمت ستصير زوجي . . فأنا لا اقبل خداعك ابداً .

دارت في ذهن «كريم» افكار لا حصر لها . . كان بعضها يوشك أن يلقي به فاقد الوعي . . همس في صوت متحشرج يقول: ماذا تخفين عني؟

مرة اخرى ألقت ببصرها بعيداً كأنها لا تحتمل مواجهته . .

جفت الدموع في عينيها . . وبدت هزيمة مريرة فوق ملامحها وهي تقول كأنها تشكو القدر: إنني مهددة بفقدان بصري سريعاً.

كانت المفاجأة صاعقة لـ «كريم» . .

أصابه ذهول وشلل حالما التقطت اذناه كلماتها . . خيل له انه اخطأ السمع. ارتجفت اصابعه المطبقة فوق كفيها . . وارتعدت شفتاه، وانتفض جسده كأنه تلقى طعنة مفاجئة . . حدق فيها مذهولاً . . وتمتم في صوت غائب عن الوعي: أنت مهددة بفقدان بصرك؟

استدارت صوبه مؤكدة: هذه هي الحقيقة.

تطلع الى عينيها الساحرتين . . كان بريقهما قد انطفأ تماماً . . كأنما أصابهما موت . . وحتى لونهما الفيروزي صار باهتاً لا حياة فيه.

وهمس يقول: مستحيل . . مستحيل.

ولكنها واصلت في مرارة: في طفولتي سقطت على جبهتي فجرحت بشدة . . ومن وقتها بدأ بصري يضعف لتمزق شبكة العينين . . فاضطررت لاستعمال النظارات الطبية . . ولكن بعد ان دخلت الجامعة ورأيت نظرات الدهشة والعجب لسمك نظارتي استغنيت عنها واستعملت بدلاً منها العدسات الطبية اللاصقة.

ارتعد «كريم» اكثر دون ان ينطق. . ونكست «نيفين» بصرها مواصلة في همس حزين:

ولكن بصري ظل يضعف تدريجياً. . حتى انني في أحيان كثيرة تتحول عيناي الى كرتين من الدماء الملتهبة لشدة آلامهما. . واضطررت في النهاية لاستشارة طبيب متخصص فأخبرني ان الشبكية اوشكت ان تنقطع تماماً وانني قد افقد بصري خلال وقت قصير.

هز «كريم» رأسه كأنه لا يكاد يصدق ما يسمعه. . وظلت عيناه مسجونتين فوق عينيها. . يحدق فيهما بشدة واصابعه ترتعد.

والقت «نيفين» ببصرها بعيداً وقالت: لقد اخبروني ان هناك طبيباً عالميا وحيداً في «امريكا» هو الذي يمكنه اجراء عملية لإصلاح شبكية العين. . ولكن من اين لي بمبلغ يقترب من المائتي الف جنيه من اجل السفر والاقامة ونفقات العملية.

أفاق «كريم» من ذهوله. . وزم شفتيه في قسوة وقال في صوت مبحوح: لماذا لم تخبريني بهذا الامر من قبل؟

التفتت صوبه ووجهها ينطق بالصدق: حاولت ان اخبرك ولكن ارادتي خانتني اكثر من مرة.

واقتربت في رقة هامسة: لقد عذبني ضميري طوال المدة السابقة . . ولكني لن استطع كتمان الامر عنك اكثر من ذلك . . وهأنذا قد اعترفت لك بالحقيقة اخيراً .

ارتفع حاجباه في قسوة وسخرية قائلاً: إن هذا يفسر لي لغزاً بشأن ابيك احترت في حل اسراره ، وهو سبب موافقته غير العادية على ان يكون الزواج بأسرع ما يمكن حتى لا يحدث ما يخشاه فيهرب منك العرسان ، بالرغم من انه من المفترض انك ابنته الوحيدة وهو لا يرغب في ان تغادري بيته سريعاً .

تطلعت صوبه في الم كأنها تلقت طعنة غادرة . . وواصل في قسوة اشد: انت لا تستطيعين انكار ذلك بدليل انه امرك بألا تخبريني بالحقيقة .

أدمتها قسوته فأخفت وجهها بين كفيها هاتفة في توسل: كفى . . كفى فقد نلت من الآلام اكثر مما احتمل .

وانفجرت في البكاء وكل جزء في جسدها يرتعش .

كان بكاؤها حاراً مريراً . . وادرك «كريم» انه قسا عليها وهي بالرغم من كل شيء آثرت الاعتراف له وعدم خداعه ، واجتاحته موجة حنان تجاهها فمد يده يربت فوق شعرها الطويل هامساً: ارجوك . . كفى بكاء .

وقاد سيارته عائدين الى بيتها دون كلمة اخرى. . وآلاف الافكار تطحن برأسه. .

وتوقفت السيارة امام مدخل المنزل. . وترامق الاثنان في صمت. . كان وجهها شاحباً هزيلاً، ووجنتاها مبللتين بالدموع، وكل جزء في جسدها يرتعد ارتعاداً خفياً. .

مدت اصابعها تمسح دموعها الذابلة وهمست تقول له في رجاء: ألن تصعد معي الى منزلنا وتحيي ابي وامي؟

ولكنه اجابها مقطبا: لا. . انني متعب وارغب في بعض الراحة. . وهناك صداع عنيف يكاد يهشم رأسي.

هتفت في انزعاج: سلامتك.

ولكنه ادار محرك سيارته معلناً رغبته في الرحيل. . فتحركت «نيفين» في صمت تغادر السيارة. . وترامقا للمرة الاخيرة فقالت تسأله: هل ستأتي في المساء؟

ـ لا ادري.

وانحرف ببصره بعيداً عنها. . وانطلق بسيارته في خشونة دون ان يلقي عليها بكلمة وداع.

ووقفت «نيفين» تراقبه حتى غاب عن بصرها. . وأحست بشيء يعتصر قلبها ويكاد يمزقه. . كان لديها إحساس قاتل

بأنها المرة الاخيرة التي تراه فيها . . كان غضبه المفاجئ وقسوته وسخريته يوحيان بذلك . . ولكنها كلهـا كانت اشياء متوقعة . وهي قد تخيلت حدوث ما هو اسوأ من ذلك . وكانت تعرف ان المفاجأة قاسية دون شك . . ولكنها كانت تثق في حبه لها .

وهمست لنفسها: انه لن يتخلى عني ابداً . . فمن يحب لا يقسو .

واستدارت تدخل منزلها . . وقد سرى في عروقها شيء من الطمأنينة اعاد الى شرايينها تدفق الدماء .

* * *

وداعاً

أطلق «ماهر» ضحكة ساخرة . . وضرب كفا بكف وهو يواصل قهقهته صائحاً: يا لها من نكتة.

وعاد يواصل ضحكه الساخر . . وانفجر فيه «كريم» في غضب حاد قائلاً: توقف عن هذا الضحك الأبله.

فحاول «ماهر» التحكم في ضحكته قائلاً: ألم يكن ينقصك إلا هذا؟

وتوقف عن الضحك ورمق ابن عمه بنظرة متهكمة قائلاً: أنت محظوظ دائماً يا صديقي والا ما القى القدر بتلك الفتاة في طريقك ، وما جعل احداً غيرك يعجب بها ويصر على الارتباط بها بالرغم من كل شيء . . والآن ها هو القدر يزيد من حظك بتلك المفاجأة الرائعة فتعرف قبل الزواج بيومين فقط ان عروسك على وشك ان تصبح عمياء.

ومال برأسه في تهكم وعيناه ترسلان وميضاً متصلاً من السخرية، وقال مواصلاً: هل كنت تريد رومانسية اكثر من ذلك.. انت نفسك لو كنت تكتب رواية وحاولت ان تضع لها نهاية بمفاجأة غير متوقعة ما امكنك ان تتخيل ذلك.. وهو امر رائع كما ترى وسيحسدك عليه كل المتزوجين.. لأنهم لا يملكون مثل تلك النعمة في ان تكون زوجاتهم لا يبصرن... وانت طبعاً لست من الصنف الذي يكسر قلوب العذارى وخاصة انها اعترفت لك بحبها.. وحتى ان كان هناك شك في انها ما اعترفت لك بالحب الوهمي الا لتنسج شباكها اكثر حولك لأنك رقيق وعاطفي، لا يمكنك ان تتخلى عن فتاة مسكينة مهددة بالعمى حتى لا يصفك احد بالجبن والنذالة.. ولأن الرومانسيين لا يتوقفون للتدقيق والبحث عن الحقيقة او السعي وراء مصلحتهم، ومن ثم فليست هناك مشكلة يا عزيزي.. انها فقيرة وعمياء في نفس الوقت، ولكن «الشاطر حسن» لا يمكن ان يتخلى عن ست الحسن والجمال حتى لو كانت مصابة بكل امراض الدنيا، فما هي المشكلة؟

هتف «كريم» في ألم: كفى يا «ماهر».. لم اعد احتمل المزيد.

واجهه «ماهر» في قسوة: انت لا تستحق غير السخرية..

أبعد كل ما اكتشفته تأتي وتسألني ماذا تفعل؟

حدق «كريم» في الفراغ وهمس في معاناة: إنني اكاد أجن واعجز عن التفكير.

واصل «ماهر» في قسوة اشد: هذا لأنك مجنون بالفعل.. إن شخصاً عاقلاً له مستقبل لامع مثلك لا يرتبط بفتاة مثلها.. فما بالك عندما يكتشف انها واباها كانا يخدعانه للإيقاع به في حبائل زوجة ستصير عمياء بعد اشهر او اسابيع.

«كريم»: هي لم تخدعني.. بل اخبرتني بالحقيقة.

«ماهر»: لأنها تعرف يقيناً أنك احمق ومتسرع وغبي.. وهي واثقة ان رومانسيتك وحبك الأبله لها سيدفعانك للتمسك بها.. لأنها لو لم تخبرك لاكتشفت الحقيقة بنفسك بعد الزواج.

وواصل في تهكم اشد: إنها ذكية يا عزيزي.. وقد اختارت توقيتاً مناسباً لإخبارك بالحقيقة.. بعد ان تأكدت انك تعلقت بها اكثر وبعد ان جهزتما عش الزوجية ولم يعد هناك فرصة للتراجع!

بدت الفكرة غريبة على «كريم»، لم يفكر فيها من قبل، فالتفت الى «ماهر» متسائلاً في ذهول:

ـ هل تظن ذلك حقاً؟

مال «ماهر» نحو ابن عمه، وواصل في صوت كالفحيح: فكر في الامر بروية وتعقل، إنها حتى لم تعترف لك بحبها الا قبل ان تعترف لك بمسألة عينيها.. كأنها تطوقك بمشاعر الحب قبل ان تلقي لك بالصدمة القاتلة.. ولكي يكون في حبها ما يخفف من وقع الصدمة عليك.. وهو كما ترى اسلوب محترفين يا عزيزي.

أخفى «كريم» وجهه بين كفيه في الم هاتفاً: ولكني أحبها.. أحبها.

أشاح «ماهر» بيده في غضب هاتفاً: إنه حب البلهاء والمجانين.. فالفراشات المجنونة تحب الشعلات الموقدة، وتظل تحوم حولها قبل ان تهلك في اتونها.. وعليك ان تفيق يا صديقي من هذا الوهم.. وان تأخذ قراراً عقلانياً قبل ان تدمر حياتك بيدك.

ـ هل تقصد ان اتركها؟

ـ وماذا غير ذلك..

ـ ولكن.. ولكني وعدتها الا اتركها ابداً.

ـ أنت وعدتها قبل ان تدرك الحقيقة. وبذلك انت في حل

من هذا الوعد. . وكان عليها ان تسألك عن هذا الوعد بعد اطلاعك على الحقيقة وليس العكس.

حدق «كريم» في الفراغ حوله. . كان يبدو مشتتاً ضائعاً. . لا يكاد يقوى على النطق. .

وقال «ماهر» في برود: دع لي مهمة إخبارها بالأمر فتكون قد أصلحت خطأك دون خسائر تذكر.

وأضاف في قسوة: وستكون سعادتي لا حد لها وانا اخبر والدها هذا الفظ المتجهم بأنك لم تعد ترغب في الزواج من ابنته بسبب الغش والخداع. . وبعدها. .

وأطلق ضحكة قصيرة قبل ان يكمل: بعدها سوف تنزاح الغشاوة عن عينيك. . فتستطيع ان تكتشف من يحبك حقيقة وسيحقق لك السعادة ورغد العيش والهناء والثروة.

وغمز بعينه مضيفاً: انا اتحدث عن «نشوى» طبعاً يا عزيزي. . ابنة «مراد بك». . الذي تتجاوز ثروته المائة مليون جنيه.

* * *

وضع «ماهر» الدبلة فوق المائدة ووضع ساقاً فوق ساق وهو يقول للرجل المتجهم الجالس امامه:

ـ إن «كريم» ابن عمي يعيد اليكم الدبلة ويتأسف عن إتمام زواجه من «نيفين».

ارتسمت نظرة مجنونة في عيني الاب، وصاح في صوت مزمجر هادر: ماذا قلت؟

واصل «ماهر» في استهزاء: لقد قلت ما سمعته مني حالاً.. و«كريم» يقول لك انت بالذات انه ما كان يصح ان تغشه او تخدعه.. وكان اولى بك ان تخبره بالحقيقة.

زمجر الرجل في صوت لاهث: اية حقيقة؟

واجهه «ماهر» بعينين ساخرتين قائلاً: أنت تعرف ما اقصده.. واعني امر عيني ابنتك ومرضها وانها توشك على ان تفقد بصرها.

شحب وجه الاب واصفرت عيناه وارتعدت شفتاه وتسمر مكانه.. بدا كأن شخصاً ما القى به في قلب نهر متجمد.. وتصاعد لهاثه حتى صار اقرب الى الفحيح.. وقال في صوت كأنه خارج من بئر: من أخبره بذلك؟

أجابه «ماهر» مستهزئاً: إن الحقيقة لا تختفي للنهاية يا

عـزيزي ، وكـانـت ابنتك تدرك ذلـك فـأخـبـرت «كـريم» بالامر . . والآن وداعاً .

ونهض وتحرك نحو الباب تاركاً الاب وقد أخفى وجهه بين يديه . .

وصفق «ماهر» الباب خلفه بعنف . .

ورفع الاب عينين بلون الدماء القانية . . كـانت زوجته جالسة بجواره وهي تنهنه باكية مولولة كأنها فقدت عزيزاً .

ونهض الاب كأنما يحمل فوق كتفيه عبئاً ثقيلاً . . وتحرك بأقدام يجرجرها فوق الارض . .

كانت «نيـفين» واقفة في مـدخل الصالة مثل تمثال من شمع . . وسمعت ورأت كل شيء . . ورمقها والدها في نظرة عتاب ولوم حزينة ولم تنطق شفتاه بكلمة واحدة . . ونكس رأسه في مرارة وتحرك نحو حجرته وهو يعاني من هزيمة قاسية . وبقيت «نيفين» مكانها . .

تساندت على الحائط بجوارها . . ادركت منذ اللحظة الاولى التي شاهدت فيها «ماهر» انه جاء يحمل انباء سيئة . .

لم تصدق للوهلة الاولى . . كان قلبها يرفض ان يصدق ان «كريم» يمكن ان يتخلى عنها . . كان لديها يقين بأنه يحبها الى آخر عمره . . وان من يحب لا يقسو . .

هي لم تتخيل انه يمكن ان يتخلى عنها لحظة واحدة . . ان يغادر زورق حياتها قبل ان يقلع . . ان يتركها موصومة بأقاويل الناس عندما يعرفون ان عريسها قد تركها قبل زفافها بيوم واحد فيخمنون الف سبب لذلك .

كان قد وعدها . . ولكنه خنث بوعده . .

وهي وعدته . . وما كان في استطاعتها ان تخنث بوعدها ابداً .

ولكنه تركها الى الابد . . ولم يعد يرى فيها غير محتالة ومخادعة . . فما أشد اللطمة القاسية التي صفعها بها . .

وتندت وجنتاها بالدموع وقدماها لا تكادان تقويان على حملها . . واغمضت عينيها مبتهلة لله ان يغلق بصرها الى الابد في نفس اللحظة . . فما عادت ترغب في ان ترى شيئاً ولا انساناً آخر في العالم . . بعد ان رحل عنها الرجل الوحيد الذي احبته بكل مشاعرها .

وتهاوت على الارض دون حراك فاقدة وعيها .

* * *

رحلة شهر العسل

قالت «نشوى» في صوت يفيض رقة: كنت واثقة انك ستعود لي.

فرمقها «كريم» بصمت مراقباً عينيها الساحرتين العامرتين بالجرأة.. واستطردت في صوت هامس:

ـ منذ اللحظة الاولى التي شاهدتك فيها ادركت اننا سنصير زوجين.. وها هو ظني يوشك ان يتحقق.

قالت «سميحة» باسمة: لا شيء ينسي الانسان حباً قديماً غير حب جديد.. وانا واثقة ان «نشوى» ستجعل «كريم» ينسى «نيفين» تماماً.

هتف «كريم» مقطباً في ألم: هذه صفحة قد طويتها من حياتي.. ولا احب ان يتحدث عنها انسان امامي مرة اخرى.

هتفت «نشوى» في فخر: هذا افضل.

«سميحة»: الآن يمكننا الاتفاق على كافة التفاصيل.

«ماهر»: لقد اخبرت «كريم» ان والد «نشوى» سيمنحه شقة فاخرة مطلة على النيل و . .

ولكن «كريم» قاطعه قائلاً: انا لا اريد شيئاً . . والانسانة التي سأتزوجها سأنفق عليها من مالي . . وأنا لدي شقتي الخاصة ولا ينقصها شيء . . فلا تكرر هذا الحديث امامي مرة اخرى يا «ماهر».

والتفت الى «نشوى» في تقطيب مواصلاً: إن إمكانياتي المادية متواضعة جداً بالنسبة لثروة ابيك الهائلة . . ولكن عليك ان تتأكدي انني لن اعيش الا من راتبي وفي حدود إمكانياتي المادية . . ولا شيء سيجبرني على الاقتراب من مال ابيك او التمتع به .

فرمته «نشوى» بنظرة ماكرة متسلية وهي تقول: هل تعتبر عيباً ان تكون زوجتك ثرية وتتمتع بمالها؟

رمق «كريم» «ماهر» لحظة ثم قال: لكل انسان الحرية في افكاره ومعتقداته . . وأنا لن ارتاح الا في مسكني الخاص وبمالي الخاص . . وهذا هو شرطي الوحيد للزواج .

ارتسمت ابتسامة عريضة على شفتي «نشوى» وهمست: أنت رجل رائع بحق. . والآن زادت سعادتي بعد ان ادركت انك لن تتزوجني طمعاً في مال او ثروة. . فهذا هو ما كنت اتمناه من الرجل الذي سأرتبط به. . أن يتزوجني لذاتي وليس لثروة ابي.

شحب وجه «سميحة» ورمت ببصرها الى «ماهر» الذي اصابه الارتباك والاحراج، فنهض مغمغماً: سوف آتي بمشروب بارد لكما.

ونهضت «سميحة» قائلة بتقطيب: سنترككما لتتمكنا من الحديث في حرية.

وغاب شبح الاثنين داخل المطبخ، فقالت «نشوى» هامسة لـ «كريم»: سوف اجعلك تنساها. . وستشكرني على لحظات السعادة التي سأمنحها لك. . وكل متع العالم التي سأجعلك تتذوقها.

ولكن كان ثمة سؤال ملح يدق في رأس «كريم»، فالتفت صوبها قائلاً: هناك سؤال وحيد ارغب في الحصول على اجابته. . وهو لماذا تريدين الزواج مني؟

لم يكن السؤال مفاجئاً لـ «نشوى». . وقالت بابتسامة

عريضة: انه سؤال عجيب ، ولكني سأجيبك عليه بأنك شاب وسيم وصحفي مرموق وبك جاذبية خاصة.

ـ إذن . . أنت تحبينني؟

ـ الحب انواع عديدة . . وان كان يريحك ان اعترف لك بحبي فلا بأس . .

ومالت عليه في اغراء هامسة: انا احبك ايها الوسيم . . وان كان المفترض انك انت الذي يعترف بالحب وليس انا .

ومست خده بأصابعها فشعر بنار تتقد مكان أصابعها ، وهمست مواصلة: هل تريدني ان اوقع اعترافاً كتابياً بحبي لك ، ام اجعلهم يعلنون ذلك في نشرات الاخبار؟

نكس «كريم» بصره . . كان صوتها ذا رنين يدغدغ الحواس . . وكان عطرها الفواح يكاد يدير رأسه . . أما جرأتها فلم يكن لها مثيل على الإطلاق .

وحاول ان يتماسك متغلباً على مشاعره وقال بعد لحظة: أليس من الأفضل ان يأخذ كل منا فرصة لدراسة الآخر؟

ولكنها هزت رأسها في عناد مجيبة: انا لا احتاج لأي وقت . . فقد اتخذت قراراي منذ رأيتك اول مرة .

ـ ووالداك . . ؟

ـ إنهما لا يعترضان على ما اريد .

ورمقته بنظرة جريئة مواصلة: ما رأيك في ان نتزوج اليوم؟

انتفض في دهشة متسائلاً باستنكار: اليوم؟

كشفت ابتسامتها العريضة عن صف اسنانها المنسق وقالت: ألم تكن تنوي الزواج اليوم من «نيفين» . . اذن ما المانع من ان نتزوج فعلاً . . فقط يختلف اسم العروس .

شحب وجهه وضعفت نبرات صوته في احتجاج: ولكن . .

ولكنها قاطعته في صوت دافئ: ارجوك . . لا تقل لكن . . قل نعم . .

وأشعلت سيجارة فاخرة نفثت دخانها في الهواء قائلة: سوف ارسل لأستدعي المأذون حالاً . . وغداً نسافر الى اسبانيا لقضاء شهر العسل . . وهذه الرحلة ستكون هدية من ابي . .

واضافت بابتسامة اوسع: وستكون هناك هدايا اخرى ثمينة . . سأشترط على أبي ان يمنحها لك بطريقة لا يجرح بها كرامتك . . او رجولتك .

* * *

وتزوجا في فيلا الاب الفاخرة .

وفي ساعات قليلة تمت دعوة المعازيم والاتفاق مع عدد كبير من المطربين لإحياء الحفل . . وكانت ليلة انفقت فيها عشرات الالوف . . واكدت لـ «كريم» مدى الثراء الفاحش الذي يتمتع به «مراد بك» والد زوجته ، والذي كان يقال الكثير عن ملايينه التي لا حصر لها . . وعن مصادرها المجهولة .

وفي الصباح التالي طار الاثنان الى اسبانيا . . لقضاء شهر العسل في قرية سياحية يملكها الوالد على الشاطئ الاسباني . .

وشعر «كريم» انه يعيش عالماً آخر . . دنيا جديدة يتعرف عليها . . وثراء لا حد له يغرق فيه . . فكل طلباته في تلك القرية السياحية مجابة وعلى نفقة والد زوجته . . وفي كل مكان كانا يذهبان اليه يحتفى بهما كعروسين سعيدين .

ومن مكانه حرر «كريم» اكثر من مقال وتحقيق بالقلم والصورة عن اسبانيا وارسلها الى جريدته . . وادهشه ان الجريدة نشرت ما ارسله اليها في اليوم التالي ، وما ان شاهدت «نشوى» صورته منشورة بجوار التحقيق حتى قفزت من السعادة ، وتألقت عيناها بوميض حاد هاتفة : هذه اجمل هدية تلقيتها بعد زواجنا .

ومسحت فوق كفي «كريم» هامسة: اريد ان ارى صورتك ومقالاتك منشورة في الجريدة كل يوم . . اريد ان اباهي الجميع بك ليحسدوني بأنني تزوجت رجلاً شهيراً ذا مستقبل مرموق .

واضافت باسمة: يوما ما ستصير رئيساً للتحرير . . ولو تطلب الامر ان يشتري ابي جريدة باسمك يضعك فوق رأسها .

فقال لها «كريم» مقطبا: لن يصنع المال مستقبلي ابداً . . بل سأشقه بأظافري .

فقالت «نشوى» في خبث: هذه هي الاجابة الوحيدة التي كنت اريد ان اسمعها منك ، ولو انني سمعت غيرها لتغيرت نظرتي اليك وادركت ان اخلاقك تغيرت ايضاً .

فحدجها «كريم» بنظرة متفحصة مقطبة مفكراً ان زوجته ليست بمثل تلك البساطة والرقة التي تبدو بها . . وانها تخفي أظافر ومخالب ذهبية تعرف متى تستخدمها . . وكيف .

وغابت عنه طوال النهار . . لم تكن المرة الاولى التي تتغيب فيها عنه دون ان تخبره بذلك مسبقاً ، واين كانت . . واستقبلها في غضب متسائلاً: اين كنت طوال النهار؟

فأجابته باسمة في غموض: لا تنسَ اننا نقيم في مكان يملكه والدي، واقل ما يجب ان القي نظرة عليه واراجع حساباته لأبعث لأبي بما يطمئنه.

وقبل ان يعترض بشيء اضافت: ولم اشأ ان اطلب منك مصاحبتي في هذا العمل، حتى لا تحتج بأن كرامتك تأبى عليك ذلك.

وتركته الى الداخل قبل ان تنتظر ردا.. وعيناها تعكسان مشاعر غريبة غير مفهومة.

وطرق الباب..

وكان ساعي البريد.

وتسلم «كريم» بطاقة تهنئة من «ماهر».. وفي طرفها قرأ: دائماً كنت اقول انك محظوظ، فتمتع بحظك يا صديقي، وانفق من مال حميك بقدر ما تستطيع.. فإنني احسدك كثيراً.. فما سترثه زوجتك من ابيها يفوق ما سترثه زوجتي مائة مرة!

وارتعدت أصابع «كريم» وبدا كمن يفيق من حلم.. وتقلصت اصابعه على بطاقة التهنئة حتى تكرمشت تماماً فألقاها في سلة القمامة، واندفع الى «نشوى» قائلاً: سوف نعود الى «مصر» حالاً.

فاحتجت في دهشة: ولكن شهر العسل لم ينقض منه غير اسبوعين فقط؟

فكرر في اصرار: سنعود الى «مصر» الآن.

ولكنها انتفضت في غضب قائلة: انا لست دمية بلهاء تحركها كما تشاء.. واذا كنا قد قررنا من قبل ان نقضي شهراً في هذه البلاد فسنفعل.. ولن يجعلني شيء أغير هذا الترتيب.

واضافت في اغراء: واذا كان الملل قد اصابك من اسبانيا فيمكننا ان نبعث لأبي فيقوم بإرسال تذاكر لنا لأي مكان في العالم.. ومن هناك يمكنك ان ترسل بتحقيقاتك المثيرة الى جريدتك فيتوالى نشر صورتك كل يوم وتزداد شهرتك.

ولكنه دق الارض بقدمه كطفل عنيد قائلاً: لن اسعى خلف هذه الشهرة التي ستمنحها لي اموال الآخرين.

وغادر المكان حانقاً.. ووقع بصر «نشوى» على بطاقة المعايدة المطوية فالتقطتها وفردتها والقت عليها نظرة ثم ابتسمت ساخرة.

وبقيا في اسبانيا حتى اكتمل الشهر..

وعادا الى «القاهرة» يحملان حقائب كثيرة امتلأت بهدايا

وملابس اشترتها «نشوى» على نفقتها الخاصة. . وعاد «كريم» الى دوامة العمل اليومي. . واصر على الاقامة في شقته الخاصة. . وان ينفق من ماله الخاص. . واحتدت «نشوى» في غضب قائلة: لم افهم كيف تفكر. . لماذا ترفض مال ابي. . لقد اعتدت على حياة خاصة ومن المستحيل عليّ ان اغيرها.

ولكنه اجابها في هدوء دون ان يثير انفعالها: انا لم اخدعك منذ البداية واخبرتك اننا لن نعيش الا في شقتنا. . ومن مالي وراتبي.

فصرت على اسنانها في حنق بالغ هاتفة: ولكنني لم اعد اطيق هذه الحياة. . فقد اعتدت الشراء والانفاق. . وانا الابنة الوحيدة لأبي فاذا لم اتمتع بماله الآن فمتى سأتمتع به؟

فواجهها في حسم: انت حرة في ان تتمتعي بمال ابيك كما تشائين. . ولكن لا تجبريني على ان انفق منه ايضاً.

فصاحت غاضبة: انني لم اعد احتمل هذه الحياة. . فمعك اشعر كأنني سأختنق.

فاستدار ليواجهها وفي عينيه غضب حبيس، وقال في هدوء وصوت بارد: اخبريني. . لماذا تزوجتني؟ فلا اظن انك احببتني حقاً كما اخبرتني ذات يوم.

ولكنه لم يحظ بإجابة ما . . وغادرت «نشوى» الحجرة غاضبة وهي تصرخ فيه: سوف اترك لك هذا المنزل الحقير واذهب الى فيلا ابي ، فإذا غيرت رأيك بشأن ماله ، فيمكنك ان تأتي لتعيش معي هناك ، بدلا من حجر الفئران هذا .

وغادرت المنزل في ثورة دون ان يحاول «كريم» استبقاءها . . وطرق الباب بعد قليل . وفتح «كريم» الباب .

كان «ماهر» واقفاً به ، تبين في عينيه الذلة والمهانة ، وقد بدا يائساً مرتعباً بوجه شاحب ، فسأله «كريم» في دهشة: «ماهر» . . ماذا هناك؟

فأجابه «ماهر» وهو موشك على البكاء: لقد اختلفت مع «سميحة» في بعض الامور التافهة . . فطردتني من شقتها وقالت لي انني لن اخطو داخلها مرة اخرى . . وانني لست اكثر من ذئب خبيث طامع في ثروة ابيها ، وانني اذا لم ابعث اليها بورقة الطلاق غدا فسيلفق لي والدها تهمة ترسلني الى السجن .

وراح يشهق بالبكاء كطفل غرير ، فربت «كريم» فوق كتفه قائلاً بقسوة: لا تبك يا عزيزي فسوف اتدخل للإصلاح بينكما .

واضاف في تهكم: ولكن لا تعمل على اغضابها مرة اخرى والا كان مصيرك الطرد من جنتها!

الحادث

اطلق «كريم» العنان لسيارته في طريق مدينة «السويس» عائداً الى «القاهرة» . . كان قد انهى تواً تحقيقاً مثيراً عن مافيا كبار المهربين من خلال الميناء . وصلته المعلومات والمستندات من مصدر مجهول رجح انه قد يكون احد العاملين في الميناء ممن يتعاملون مع هؤلاء المهربين ، فلما استغنوا عن خدماته قرر ان يكشفهم . . وكانت المعلومات التي تلقاها تحتوي على بعض الحقائق . . واستطاع في رحلته العثور على بعضها الآخر فاكتمل لديه التحقيق المثير عن مافيا حيتان الميناء . .

وما اكتشفه هناك كان اكثر اثارة مما توقع . .

كان «مراد بك» . . حموه العزيز هو اول هؤلاء المهربين . . فبنفوذه وملايينه استطاع النفاذ الى كل مكان في الميناء ليقوم بتهريب بضائعه دون ان يدفع اية رسوم جمركية . .

واكتشفت ما هو اسوأ. .

كان «مراد» مهرباً للمخدرات ايضاً. . واستطاع ان يشاهدها بعينيه مخبأة داخل شحنة اجهزة كهربائية. . كان من السهل عليه ان يعبث بإحداها فيكتشف الحقيقة. لحظتها دارت رأسه وكاد يجن. . وادرك فجأة سر الثراء الذي ينعم به ذلك الرجل وسبب الغموض الذي يحيطه. .

واكتشف رجال «مراد بك» ما يفعله في الميناء فأوشكوا على الفتك به، لولا ان تعرفوا عليه سريعاً. . واقنعهم «كريم» انه كان في مهمة لصالح حميه فانخدعوا بما قاله وتركوه يغادر المكان بلا سوء.

كان متأكداً أنه لولا تلك الحجة لمزقوه. . ففي ذلك العالم لا تأخذ هؤلاء القوم رحمة بإنسان. . وغمغم لنفسه : أترى كم عدد ضحايا هذا المجرم، وكم عدد الذين دفعوا حياتهم ثمناً لثروته القذرة؟

وهمس لنفسه وهو يضغط فوق بدال البنزين: ولكن «نشوى» لا ذنب لها ولا يحق لي ان آخذها بجريرته. . إن الخطأ هو خطأ والدها وعليه ان يدفع ثمنه. . اما هي فلا يمكن لأحد محاسبتها على اب منحرف. . حتى لو كان لها بعض من صلفه وغروره.

كانت قد تركت المنزل منذ اكثر من شهر وحاول اعادتها اكثر من مرة فأصرت على شرطها . . وقبل ان يتخذ قراراً حاسماً تلقى تلك المعلومات والمستندات التي اقنعته بزيارة ميناء «السويس» بأسرع ما يمكن .

ولمح اخيراً مشارف «القاهرة» والنعاس يغالبه بعد يومين قضاهما دون ان يغمض له جفن وهو يلهث وراء المعلومات ومزيد من المستندات .

ومن بعيد ظهرت شاحنة نقل ضخمة قادمة في الاتجاه المضاد وقد انحرفت قليلاً تجاهه . . وادار «كريم» مقود سيارته الى حافة الطريق وهو يطلق بوقاً محذراً . . ولكن الشاحنة انحرفت اكثر لتسد عليه الطريق .

وضغط «كريم» فوق فرامل سيارته . . ولكنه فعل ذلك متأخراً ، فقد اندفعت الشاحنة نحو سيارته لتهشمها في عنف ، وتلقي بها على الطريق . اسرع قائد الشاحنة هارباً وزحف «كريم» خارجاً من الزجاج الامامي المحطم وهو لا يرى شيئاً امامه . . وما كاد يزحف قليلاً حتى دوى انفجار شديد ، وتحولت سيارته الى كتلة مشتعلة من النار .

* * *

اندفعت «نشوى» ووالدها الى المستشفى الكبير . . وهرعا الى حجرة العمليات . . كان بابها مغلقاً فوقفا في الخارج لحظات و«نشوى» تضغط فوق اصابعها بعنف . اما والدها فبقي يدخن سيجاره الفاخر ونظاراته السوداء تحجب المشاعر المختلطة في عينيه .

وانفتح باب حجرة العلمليات وظهر احد الاطباء خارجاً منها ، فهرعت اليه «نشوى» هاتفة: اخبرني ما هي حالة « كريم»؟

أجابها الطبيب في ارهاق: ان معظم اصاباته سطحية ، مجرد خدوش وسجحات في ذراعه اليسرى . . اما الاصابة الاكثر فهي في عينيه .

غمغمت «نشوى» في توتر: في عينيه . . هل اصيبتا؟

أجابها الطبيب: نعم فقد تطايرت شظايا الزجاج عند الاصطدام واصابت عينيه فمزقت القرنية وتسببت في انفجارات دموية . . واخشى انه لن يستعيد القدرة على الابصار مرة اخرى .

تراجعت «نشوى» للوراء بأنفاس متسارعة ، والتفتت في حدة نحو والدها الذي حدجها بنظرة باردة من خلف نظاراته .

فاندفعت تجري الى نهاية الطرقة كأنها تهرب من شبح ما .

وبقي الاب مكانه . . كان ثمة غضب في عينيه كأنه كان ينتظر نتيجة اسوأ ، وغمغم للطبيب:

ـ وهل سيستعيد قوته سريعاً؟

أجابه الطبيب: لا شك في ذلك . . ولكنه سيبقى اعمى للأبد .

تحرك الاب فغادر المكان . . كانت النتيجة بالنسبة له لا بأس بها وان لم يتحقق الغرض كاملاً . . وغمغم لنفسه: لعل هذا الدرس يقنعه الا يدس انفه فيما ليس له بعد ذلك .

وعلى باب المستشفى اندفع «ماهر» داخلاً . . وما ان شاهد «مراد بك» والد «نشوى» حتى هرع اليه هاتفاً في جزع: «مراد بك» . . ماذا جرى لـ «كريم» ؟

أجابه «مراد» في سخرية: انها مجرد حادثة صغيرة فقد فيها عينيه وان لم يفقد حياته .

صرخ «ماهر» في جزع: هل فقد «كريم» بصره؟

فأمسكه «مراد» من ياقته ، وخلع نظاراته فبانت عينان دمويتان ، وقال في صوت حاد كالموسى: لقد انقذه القدر هذه المرة فلم يفقد غير عينيه ، وفي المرة القادمة اخبره انني سأقوم بتقطيع رقبته بنفسي إن حاول التدخل في شؤوني .

واندفع يغادر المكان نحو سيارته الفاخرة التي كان يقوم بحراستها ثلاثة من الرجال الاشداء.

وغمغم «ماهر» في ذهول: إنني لا افهم شيئاً مما يعنيه هذا الرجل.

ثم هرول الى داخل المستشفى.

* * *

تململ «كريم» فوق فراشه.. وتأوه وهو يشعر بالآلام التي تغزو جسده.. وبدأ يتنبه اخيراً.. وحاول ان يفتح عينيه ولكن كل شيء كان مظلماً حوله.. ولم يشعر بعينيه على الاطلاق.. بل كان ثمة الم حاد فيهما كأنما انغرزت فيهما آلاف السكاكين. ومد اصابعه يتحسس وجهه فلمست اصابعه الضمادة الثقيلة حول وجهه وعينيه.

لم يدرك الحقيقة على الفور.. وبدأ يتذكر كل ما جرى له.. والشاحنة الطائشة التي صدمت سيارته وهشمتها.. وتنبه الى ان يده اليسرى كانت داخل جبيرة وتسبب له ألماً حاداً.

وهتف «ماهر» بجواره في لهفة: «كريم».. لقد أفقت أخيراً.. الحمد لله.

غمغم «كريم» وقد تعرف على صوت ابن عمه : «ماهر» : من أخبرك بأمر الحادثة؟

أجابه «ماهر» وهو يخفي دموعه: بعد وصولك المستشفى عثر الاطباء على نوتة تليفوناتك في جيبك ، فجربوا الاتصال بأكثر من رقم فهرعت ، الى المستشفى منذ ثلاثة ايام واكتشفت حقيقة الحادث .

غمغم «ماهر» في دهشة بالغة: ثلاثة ايام . . هل ظللت فاقداً الوعي كل هذا الوقت؟

ـ نعم . . هذا هو ما حدث .

ـ و«نشوى» . . اين هي؟

غمغم «ماهر» في صوت مسحوق: «نشوى» . . إنها . . إنها لم تعد مرة اخرى منذ جاءت اول مرة الى المستشفى مع ابيها وعرفا حقيقة اصابتك .

اعتدل «كريم» مكانه في دهشة هاتفاً: ماذا قلت . . ألم تأت «نشوى» للسؤال عني بعدها؟

أجابه «ماهر» في صوت خافت: لا إنها لم تفعل . . وما عرفته بعدها من «سميحة» انها ذهبت الى شقتك واخذت كل ملابسها من هناك . . وهي تنوي ان تطلب الطلاق منك .

ـ «نشوى» . . مستحيل ان تفعل ذلك . . انها تحبني ولا يمكنها ان تتخلى عني ببساطة لمجرد انني اصبت في حادث .

وتذكر اشياء كثيرة وغمغم لنفسه: لا بد ان والدها اجبرها على ذلك . . هذا لا شك فيه .

قال «ماهر» في قسوة: لا يا «كريم» . . إن والدها لم يجبرها على شيء . . بل هي التي قالت لـ «سميحة» انها لا يمكن ان تعيش مع رجل اعمى .

تساءل «كريم» في ذهول وجزع: أعمى؟

وانعقد لسان «ماهر» وشحب وجهه . . أفلتت الكلمة من لسانه رغماً عنه . وردد «كريم» في ذهول: هل قلت أعمى . . أنا . . أعمى؟

ومد أصابعه في جنون يحاول انتزاع الرباط حول عينيه فصاح «ماهر» به:

ـ لا يا «كريم» . . لا . .

ولكن أصابع «كريم» واصلت عملها المحموم . . واخيراً مست أصابعه وجهه وراح يتحسس مكان عينيه اللتين لم يبصر بهما شيئاً .

واكتشف في اللحظة التالية حقيقة ما جرى لهما . .

وصرخ «كريم» في جنون : لا . . لا . .

وتحرك بعنف من فراشه فسقط من فوقه سقطة مؤلمة . .
وهرع اليه «ماهر» ولكن «كريم» دفعه في عنف ، وراحت ذراعاه تقذفان كل ما تصل اليه يداه من اشياء في هيستريا . .
قبل ان يندفع الاطباء والممرضون نحوه ليحقنوه بمادة مخدرة ارتمى على اثرها فوق فراشه دون حراك .

* * *

الحقيقة المرة

نكس «كريم» رأسه في صمت عميق وقد ران السكون في اركان حجرته بمنزله بعد ان غادر ابوه وامه المكان عائدين الى قريتهما . . بعد ان رفض استبقاءهما معه . . وتعهد «ماهر» برعايته ، وغمغم بعد لحظة: هل انت واثق من ان «مراد بك» قال لك هذه الكلمات؟

اومأ «ماهر» برأسه في ألم قائلاً: بالتأكيد ، وإن لم افهم وقتها معنى كلماته بأنه سيقوم بقطع رقبتك إن حاولت التدخل في شؤونه مرة اخرى .

ارتعدت شفتا «كريم» . . وتصاعدت انفاسه لاهثة . . وغمغم في صوت محترق: إذن فاصطدام تلك الشاحنة بسيارتي لم يكن مصادفة . . بل كان عملاً مدبراً من «مراد بك» . . فقد أراد التخلص مني لأنني كشفت سره وتجارته المحرمة .

اتسعت عينا «ماهر» وتساءل في صوت لاهث:

ـ هل أنت واثق حقاً من أن حماك يقوم بتهريب المخدرات .

زم «كريم» شفتيه وهو يخفي عينيه بنظارة سوداء: بل ولديّ المستندات الدالة على ذلك . . وسأقدمها لرجال الشرطة ليأخذ هذا المجرم عقابه .

هتف «ماهر» في جزع: لا يا «كريم» . . إنك تقامر بحياتك . . فهذا الرجل وحش ولن يتوانى عن قتلك اذا ما حاولت الايقاع به .

وأجاب «كريم» في مرارة: لم يعد هناك ما يخيفني في هذا العالم . . فقد تساوت لدي كل الاشياء ولم يعد هناك من أبكي عليه ، واضاف في ألم: لقد فقدت من أحببت عندما اردت الانتقام لنفسي انتقاماً ابله . . وصوّر لي غضبي وقتها انني خدعت . . فقسوت على قلبي ووطأت مشاعري بقدمي دون رحمة . . وافلتت من حياتي الفتاة الوحيدة التي احببتها بصدق ، وبادلتني نفس الحب الصادق .

وادار وجهه صوب «ماهر» الجالس وقد اطبق شفتيه في صمت مؤلم . . وواصل «كريم» وعيناه المنطفئتان تحدقان في ظلام كثيف خلف النظارة السوداء:

ـ أتدري يا «مـاهر» . . إنني لـم احـزن على مـا اصـابني، وكنت اقول لنفسي خلال تلك الايام الماضية ان الله اقتص مني عندما شرعت في محاسبة فتاة طاهرة بريئة ووصمتها بكل الخداع والشرور لأنها كانت تعاني من مرض لا حيلة لها فيه . . فكنت مثل الحاكم الجبار الذي لا يرحم ولا يشفق، واصدرت حكماً بإعدام من احببت وبأنني استحق ما هو افضل من فتاة عمياء . . والآن ها هو حكم الله العادل قد نفذ فيّ ايضاً . . فصرت ضريراً لا ابصر كذلك . . أليست تلك هي العدالة الإلهية؟

هتف «ماهر» في ألم: كفى يا «كريم» . . كفى . . لن يزيد الحديث في هذا الامر الا الجراح القديمة .

ارتعدت شفتا «كريم» وهمس: من قال انها جراح قديمة، وقد كنت اتعذب واكتوي بنارها الف مرة . . لقد تركت محبوبتي لأنها كانت صادقة ولم تشأ مخادعتي وارتبطت بفتاة لم تكن تريد اكثر من شاب وسيم تتباهى بمقالاته وشهرته امام صديقاتها في النادي لتكتمل كل اساليب السعادة حولها . . فلما رفض هذا الزوج ان يصير تابعاً لها ولأبيها بترته من حياتها دون ان تسكب عليه دمعة ندم واحدة . . وكان زواجه منها

هو الكارثة التي افقدته اغلى ما يملك . . حبيبته وعينيه . . لقد تعذبت وندمت ولكن بماذا يفيد الندم وهو لن يعيد ما ضاع مني .

وانحنى في مرارة . . وأمسك برأسه بين كفيه مواصلاً:

ـ لقد حرمت من رؤية العالم الى الأبد . . من رؤية شروق الشمس وغروبها . . من مشاهدة ازهار الربيع وهي تتفتح . . واطفال البراءة وهم يلهون . . حرمت الى الابد من ان انظر الى العالم والاشياء والناس . . والآن فقط ادرك كم هو قاس ذلك الحرمان . . وكم ان هذا المحروم بحاجة الى من يخفف عنه جراحه ويداويها . . لا من يقسو عليه ويعايره بعاهة لا ذنب له فيها . . الآن فقط ادركت كيف قسوت على «نيفين» وحكمت عليها بالاعدام دون ان يهتز قلبي لفرط قسوتي .

وسالت دمعتان من طرف العينين المحدقتين في الفراغ ، فقال «ماهر» في ذهول: إنك تبكي يا «كريم» .

في صوت مختنق اجابه «كريم»: إنني ابكي لسبب وحيد . . لأنني حرمت للأبد من رؤية الشيء الوحيد الذي تمنيت ان اراه طوال الشهور الماضية خلال زواجي بـ «نشوى» . . «نيفين» . . وها هو القدر قد حرمني من هذا الامل الى الابد .

ونكس بصره في مرارة وحرقة هامساً: إنني مستعد الآن لان ادفع عمري كله من اجل نظرة واحدة الى عينيها . . لأراها ولو للمرة الاخيرة . . واودع الحياة بعدها . . اتمنى لو ان الله منحني عينين تبصران لألقي عليها نظرة الوداع واتأمل جمالها الرائق الملائكي واهمس لها ان تسامحني . . إن خطئي وغدري بها لا سبيل الى علاج جراحه في قلبي ابداً .

قال «ماهر» في ألم: انت على حق . . لقد ظننت يوما ما ان السعادة في المال وانني سأكون ناجحاً وسعيداً بقدر ما يزيد ثراء زوجتي . . فيغنيني مالها عن الشقاء ويشعرني بالأمان . . ومن اجل ذلك ضحيت بمن أحببت لأنها كانت فقيرة لا تملك غير قلب نبيل يفيض عطاء وحناناً . . واتجهت بوصلتي نحو المال . . وهأنذا الآن ادفع ثمناً غالياً من كرامتي ، مع زوجة اشعر انني صرت تابعاً وخادماً لها لا اجرؤ حتى على معارضتها . . وفي منزل احس انه ليس لي ، وانني مجرد ضيف ، ويمكن لاصحابه ان يطردوني منه متى شاءوا . . الآن فقط اصدق قولك بأن هناك فارقاً في ان يبني الرجل بيته بكده وشقائه . . لا ان يحصل عليه جاهزاً بمال زوجته .

ومال على «كريم» يحتضنه وهو ينهنه بالبكاء كطفل هاتفاً

في ضراعة: سامحني يا «كريم» . . فأنا السبب في كل ما حدث لك . . فقد دفعتك دفعاً لأن تترك «نيفين» وشوهتها امامك ووصمتها بالخداع . . وما اخفيته عنك هو ان «سميحة» هي التي طلبت مني ان افعل ذلك بضغط من «نشوى» ابنة خالتها . . وكنت انا مثل الدمية التي تحركانها كما تشاءان خشية من غضب «سميحة» علي . . وهأنذا قد ادركت خطئي الفادح الآن . . بعد ان دفع كل منا ثمناً غالياً .

ظلت عينا «كريم» معلقتين بالجدار دون ان ترمشا . . كأنما فارقت الروح الجسد . . وتساءل «ماهر» في قلق: «كريم» هل تسمعني؟

تحركت شفتا «كريم» دون ان ترمش عيناه . . وظل وجهه محدقاً في الفراغ وهو يقول:

ـ لا تلم نفسك يا «ماهر» . . فإن احداً لم يجبرني على ان افعل ما فعلت .

وتحركت قدماه في حذر من فوق فراشه ليهبط منه ، فأسرع «ماهر» اليه يسنده هاتفاً: الى اين؟

أجابه «كريم» في اصرار: لقد احتفظت بالاوراق التي ستدين كل اولئك المهربين في حافظة خاصة في صدري قبل

الحادث . . وقد الهمني الله ان افعل ذلك لكي لا تحترق داخل سيارتي بعد الحادث . . وقد احتفظوا لي بها في المستشفى وتسلمتها منهم عند مغادرته واتيت بها معي الى المنزل . . والآن اشعر ان هناك شيئاً واحداً يجب ان اقوم به ، وهو تسليم هذه الاوراق للجريدة لينشروها على الملأ وتكون بمثابة بلاغ عام ضد هؤلاء المجرمين .

ـ ولكن . .

قاطعه «كريم» في اصرار: لن تفيد المعارضة في شيء . . ثق من ذلك . . فسأسلم هذه الاوراق للجريدة او الشرطة ، ولو كان ذلك آخر ما افعله في حياتي . . وقد اتصلت بنفسي بـ «مراد بك» واخبرته بما انوي ان افعله .

وتوقف مكانه عندما سمع صوت الخطوات القادمة تجاه باب الحجرة . . كانت القدم نسائية يصدر حذاؤها رنيناً خاصاً فوق الارض .

وهتف «كريم» بلا وعي وعيناه شاخصتان الى الظلام: «نيفين»؟

ولكن ما جاوبه كان ضحكة هازئة ، ونفذ عطر ثمين الى انفه معلناً عن صاحبته ، فغمغم «كريم» مقطباً: «نشوى»؟

واعطاها ظهره في غضب مضيفاً: ما الذي جاء بك الى هنا؟
قالت ساخرة: أهكذا ترحب بزوجتك؟
طعنته كلمتها فقال: زوجتي . . الآن تذكرت أنني زوجك . . ولماذا لم تتذكري ذلك في الايام الماضية، وقد كنت في اشد الحاجة اليك والى زوجة حقيقية تقف بجوار زوجها وهو في محنته .
أجابته دون ان تطرف عيناها: شغلتني عنك اشياء اخرى .
سألها في مرارة: ألهذا اتيت هنا واخذت كل ملابسك ومجوهراتك عندما علمت انني اصبحت اعمى . . وطلبت الطلاق .
قالت ذلك بصوت مخادع: لقد فعلت ذلك بلا وعي . . والآن راجعت حساباتي وجئت مرة اخرى اليك .
استدار ليواجهها . . بدا كأنه يضع كل ملامحها وخلجاتها تحت ميكرسكوب دقيق بالرغم من عينيه المظلمتين، وقال: إن هناك سبباً أتى بك الى هنا بكل تأكيد . . ما هو؟
اقتربت منه . . حدقت لحظة في نظارته السوداء ثم قالت: لقد جئت اعرض عليك صفقة لا اظن انك سترفضها . . فإنني مستعدة لأن ارسلك الى اي دولة في العالم بها تقدم في

جراحات العيون ، فتقوم بزراعة قرنية في عينيك لتستعيد بصرك ولو كلفني ذلك مليون جنيه .

قال ساخراً: لا اظن ان قلباً رحيماً قد سكن مكان قلبك فجأة لتفعلي لي ذلك ، ولا تحاولي اقناعي بأن حبك لي قد صحا من غفوته فجأة واقنعك بذلك . . ولا بد انك تريدين مقابلا لهذه المنحة الكريمة . . اليس كذلك؟

ولكنها اجابته في صوت بارد: أعطني الاوراق التي في حوزتك يا «كريم» .

استدار اليها وعلى وجهه ذهول بالغ وغمغم غير مصدق: إذن فأنت تعرفين كل شيء عن نشاط والدك الحقيقي وتجارته في المخدرات والا ما جئت تسعين للحصول على هذه الاوراق .

غمغمت «نشوى» وهي تصر على اسنانها: أعطني الاوراق والمستندات والا ندمت طوال عمرك .

استدار «كريم» ذاهلاً يواجه العدم . . وغمغم في صوت مجنون : انني الآن لا اشك في انك ربما تكونين قد خططت ايضاً مع ابيك لكي تتخلصا مني بتلك الحادثة . . وانا كنت معك مثل غر ساذج لا يعرف شيئاً . فكيف عشت معك كل

هذه الشهور دون ان ادرك حقيقتك . . وانك لا تختلفين في كثير او قليل عن والدك . . ولا تقلين عنه إجراماً .

انتفضت «نشوى» في صوت يقطر كراهية وتهديداً قائلة: انا لن اسمح لك بكلمة واحدة عن ابي . . والآن هل ستعطيني هذه الاوراق ام تدفع الثمن حياتك كلها ، ما دام فقدانك لعينيك لم يقنعك بما يجب ان تفعله؟

واخرجت شيئاً من جيبها صوبته نحو «ماهر» مضيفة: وهذا التافه ايضاً سيموت معك .

صاح «ماهر» في جزع: لقد اخرجت مسدساً من جيبها .

اضافت «نشوى» في تهكم: وبه كاتم للصوت ايضاً . . وهكذا بطلقتين يمكن ان اتخلص منكما دون ان يكون هناك اي دليل ضدي ، واحب ان اخبركما عن شيء وهو انني بارعة في اصابة الهدف وافضل من يطلق البندقية في النادي . . كأنني كنت استعد لهذه اللحظة . . والآن ما هو ردك ايها الصحفي الكبير؟

تقلص وجه «كريم» وقال في غضب: لن تحصلي على هذه الاوراق . . حتى لو كان الثمن حياتنا .

فأجابته في برود وعيناها تفيضان بكراهية لا حد لها:

- إذن فقد اخترت مصيرك انت وهذا التافه .

وتحرك اصبعها فوق زناد المسدس . .

فجأة دوى صوت عال محذراً يقول : مكانكم جميعاً . . لا تتحركوا .

واندفع الى داخل الحجرة عدد من رجال الشرطة المسلحين ، انقضوا على «نشوى» واختطفوا سلاحها قبل ان تتمكن من استعماله ، وهتف بها احدهم: انت مقبوض عليك بتهمة الشروع في القتل .

ولمع فلاش مصور صحفي ليسجل لحظة القبض على «نشوى» . .

وتساءل «كريم» في ذهول لرجال الشرطة: من اخبركم بالحقيقة . . وكيف اتيتم الى هنا؟

ربت احد الضباط على كتفه قائلاً: لقد كنا نراقب كل شيء بعد ان قبضنا على السائق الذي صدم سيارتك بشاحنة فاعترف ان «مراد بك» هو الذي حرضه على قتلك بعد ان اكتشفت انه يعمل في تهريب المخدرات . . وقمنا بمراقبة منزلك توقعاً لأن يحاول اغتيالك ، ولحسن الحظ فقد وصلنا في لحظة مناسبة للقبض على ابنته لانها لم تكن فوق مستوى الشبهات .

واضاف في حزم: ونحن الآن نقوم بمهاجمة مخازن «مراد بك» والقبض عليه متلبساً بعد ان وصلت شحنة الاجهزة الكهربائية المليئة بالمخدرات اليها . . والفضل يعود اليك في كشف حقيقة هذا المجرم . . وبالطبع فإن المستندات التي تملكها والتي تدين هذا الرجل سوف يكون لها الفضل في ان يلاقي حكماً رادعاً من المحكمة هو وكل عصابته . . وابنته ايضاً .

تساءل «كريم» في صوت متوتر: هل كانت «نشوى» على علم بنشاط والدها؟

أجابه الضابط: بل كانت الوسيط ايضاً في احدى صفقاته وما اكتشفناه متأخراً هو ان اصرارها على سفركما الى اسبانيا لقضاء شهر العسل ما كان الا لأجل الالتقاء بأطراف العصابة هناك، ولكي تعود بحقائب محملة بالمخدرات . . وبالطبع كان من السهل مرورها من الجمارك لأن اغلب مأموري الجمرك يعرفونك من تحقيقاتك وصورتك المنشورة في الجريدة . . ولن يشكوا ابداً فيك او زوجتك ويفتشوا حقائبكما التي كنت تظنها مليئة بالهدايا والملابس لزوجتك العزيزة، والمفترض فيها أنها محامية وتدرك القانون جيداً، وعقوبة تهريب المخدرات .

دارت رأس «كريم» . . كانت المعلومات صدمة قاتلة له . .

اخـيـراً اكـتـشف السـرفي اصـرار «نشـوى» عـلى الزواج منه. . . لم يكن ذلك بسبب اعـجابها به او حبـها له. . كانت تنسج شباكها مثل عنكبوت «ماهر» اوقع ذبابة في شباكه وراح يمتص دمـاءهـا على مـهل. . في تلك اللحظة تفـتـحـت اشـيـاء كثيرة فـي ذهنه وعرف لماذا كـانت تختـفي عن عينيـه في تلك القرية السياحية بإسبانيا مدعية انها تقوم برعاية اعمال والدها. . الآن فـقط ادرك حـقـيقـة هذه الاعـمـال. . وعـرف ايضـاً لماذا ارادت ان يقومـا بجولة حـول العالم. . لكي تلتـقي بأكبـر عدد من افراد عـصابة ابيـها ولكي تعود بأكـبر قـدر من المخدرات في حقائبهما.

كـان زواجهـا منه لتسـهـيل دخول المزيد من المخـدرات عبـر حقائبهما. . وكانت شهرته هي الطريق الذي اتاح لها ذلك.

واخفى وجهه بين يديه. .

فـقـد كانت الحـقـيـقـة مرة. . وقـد دفع لهـا ثمناً غـالياً. . عينيه.

* * *

عيناك . . قدري

أمسك «كريم» القلم وحاول الكتابة . . استعصت عليه الكلمات . . بدا كأن جبلاً يرقد فوق ذراعه ويشل تفكيره . . فبالرغم من ان محاولة الكتابة فوق سطور لا يراها كانت امراً شاقاً، الا ان الشيء الاقسى كان العثور على الافكار والكلمات الهاربة من وعيه الشارد .

فعندما زاره رئيس التحرير بالأمس قال له: كانت قصة القبض على «مراد بك» وابنته التي نشرت في الصفحة الاولى بالجريدة سبباً في نفاذها بالرغم من اننا اعدنا الطباعة خمس مرات . . ولم يعد لنا من حديث الا عنك وقصتك مع هؤلاء الاوغاد . . فما رأيك في ان تكتب قصتك مع «نشوى» ووالدها وسننشرها لك مسلسلة في الجريدة؟

ومن وقتها وهو يحاول الكتابة ولكن التعابير تخونه والافكار

تهرب منه . . كأنه يتمنى لو انه حذف تلك اللحظات من ذاكرته .

لحظة رؤيته لـ «نشوى» . . ويوم زواجهما . . كان احساسه برفض الذكرى يجعله عاجزاً عن الكتابة . . وامتلأت السلة بجواره بالاوراق الممزقة لبدايات مشوهة لتلك القصة ذات الولادة المتعسرة .

ورفع بصره الى الفراغ والظلام وغمغم لنفسه: ان البداية لا بد ان تكون بها . . «نيفين» .

وامسك القلم في حب وود . .

وطاوعته العبارات والكلمات في يسر . . وكتب العنوان «عيناك . . قدري» وبدأ الكتابة . . وانطلق القلم جارياً فوق الاوراق . .

ولم يشعر بالوقت الذي انقضى . . وافاق على صوت خطوات تدنو قريباً منه . .

وشعر بأنفاس تكاد تمس وجهه . .

وتساءل في دهشة: «ماهر»؟

كان هو الوحيد الذي يملك مفتاحاً لشقته ومسموح له بدخولها في اي وقت . . فبعد طلاقه من «سميحة» لم يعد ما يشغله عنه .

وعاد «كريم» يتساءل: من هنا؟

اقتربت منه الخطوات الخفيفة حتى توقفت على مقربة منه . .

ومد «كريم» اصابعه يتحسس وجه القادم في لهفة وتوتر . .

كان الوجه رقيقاً ناعماً . . وملامحه رقيقة دقيقة . . ودق قلبه وهو يتحسس الانف والفم والوجنتين والعينين . وتشبثت اصابعه بكف القادم الرقيقة اللدنة ، كان يعرف صاحبة هذا الكف الجميل ، وغمغم في صوت لاهث غير مصدق: «نيفين»؟

فأجابه الصوت الرقيق الملائكي: كيف حالك يا «كريم»؟

ارتعدت شفتاه . . وتقلصت اصابعه . . شعر بدوار . . وغمغم في صوت لاهث متسارع:

- كيف دخلت الى هنا؟

أجابته في رقة: لقد أوصلني «ماهر» وهو ينتظر في حجرة الصالة .

ران صمت عميق بعد كلماتها . . وقالت «نيفين» في صوت يقطر حزناً ومرارة: لقد قرأت في الجريدة نبأ القبض على «نشوى» ووالدها وحقيقة نشاطهما وعلمت بخبر اصابتك . .

قال ذاهلاً: انت قرأت الحادث في الجريدة . . ولكن . . عيناك؟

اجابته في وداعة: انا لم افقد بصري . . والله الذي يخلق

الطير والنبات وييسر لها سبل الحياة وسط العواصف والانواء لا يمكن ان ينسى انساناً في محنة مهما كان فقيراً.

اعترض في ذهول: ولكن. . .

أجابته في رقة دون ان يشي صوتها بأي كراهية له: ان ذلك الطبيب العالمي الامريكي قام بزيارة لـ «مصر» لأن ابنته كانت مريضة وفي حاجة الى طقس دافئ جاف لكي تبرأ من علتها. . وعندما تحسنت حالة ابنته قرر الطبيب إجراء عدد من العمليات في «مصر» على نفقته اعترافاً بالجميل. . وبفضل وبتوفيق من الله امكنه اصلاح عيوب عيني واعادتها كما كانت من قبل سليمة بلا سوء. . وهكذا تنفذ مشيئة الله ولو ادركنا اليأس من تحقيقها.

أخفى «كريم» وجهه بيديه. . كأنه يهرب من كابوس سخيف. . من ماضٍ مؤلم يطعنه بحربة من الذكريات والندم. . شاء الله وفعل. . وهو قد اراد ان يتحدى القدر فلطمه بضربة قاسية.

وقال وكل ذرة في جسده تختلج: سامحيني يا «نيفين». .

همست تقول في ألم: انت لا تتخيل ما اصابني بعد ان قرأت خبر ذلك الحادث وعرفت ما جرى لك.

ـ لقد انتقم لك القدر .

ـ لا تنطق بذلك مرة اخرى . . فأنا لم اكرهك ابداً فمن يحب لا يكره .

ـ انا استحق ما جرى لي . . فقد عاقبني الله بنفس العقاب .

ـ عندما قرأت عن ذلك الحادث احسست كأنني فقدت بصري مرة اخرى وذرفت لأجلك دموعاً كثيرة .

ـ أنت انسانة نبيلة وانا لا استحق دموعك .

ـ بل انك تستحق اشياء كثيرة . . فقد كنت تعيش محنة كبيرة . . وكنت من النبل وتيقظ الضمير بحيث انك لم تقبل رشوة لإعادة عينيك .

ـ لقد انتهت حياتي ولم يعد يهمني الآن ما يجري لي . . إنني كالحيّ الميت .

ـ لا تقل ذلك بعد الآن . . فالحياة حلوة وهي تفتح لك ذراعيها فلا تيأس او تبتئس .

ـ انت التي تقولين ذلك بعد كل ما فعلته بك؟

همست في يقين: لقد كنت اعرف أن ما حدث سيكون مجرد

سحابة صيف . . واننا يوماً سنعود بعضنا لبعض . . وقد عشت على هذا الامل .

ـ انت؟

تساءل ذاهلاً ، وتحسس اصابعها بحثاً عن شيء خاص ، فقالت تطمئنه في رقة وحنان .

ـ لقد وعدتك ذات يوم بألا اكون الا لك . . وهأنذا اثبت لك صدق وعدي .

كانت الدبلة لا تزال في اصبعها لم تخلعها ابداً . . وارتعشت اطرافه وهمس:

ـ ولكن . . لا . . انا لا استحقك . . لقد خنت وعدي وخنثت بقسمي .

ـ كنت مقدرة للظروف التي دفعتك لذلك . . ولن الومك ابداً . .

ـ لا . . اننا لا يمكن أن نرتبط ابداً . . لا يمكنني ان اسمح لنفسي بأن اسجنك معي . . وما رفضته لنفسي لن اسمح لك به واظلمك . . انني صرت اعمى بلا حاضر او مستقبل . . وسأظل طوال حياتي حبيساً للجدران والظلام . . ولن اصلح لك ابداً . . فأنت تستحقين من هو افضل مني الف مرة .

ـ إن العمى هو عمى البصيرة والقلب وليس عمى العيون وإظلامها.

ـ لا تظلمي نفسك معي لاجل وعد.

ـ انا اعود اليك.. لانه لا مكان في قلبي لاحد غيرك.

تساءل في ذهول: ووالدك؟

أجابته في تسامح وجهها يصنع هالة من الضوء حوله: انا لا افعل شيئاً دون مشورته.. وهو لم يحقد عليك ابداً لما فعلته.

نكس «كريم» وجهه الى الارض وعصفت به مشاعر فوارة.. وقال في مرارة: كيف فكرت يوماً في ان ادوس هذه المشاعر النبيلة بقدمي في قسوة وبلا رحمة..

لماذا رأيت الظاهر فقط ولم أفطن الى الجوهر، بالرغم من انه كانت لي عينان تبصران؟

ولكنها ربتت فوق جبهته مهونة.. كانت جبهته ملتهبة ساخنة وقطرات من العرق قد تجمعت فوقها.

ووقع بصرها على الاوراق التي كان يكتبها.. وقرأت العنوان.. وهمست تقول:

ـ ستكون عيناك هما ايضاً قدري.. حتى لو كانتا لا تبصرانني فهما أغلى عندي من العالم كله.

هتف من أعماقه مطلقاً زفرة حبيسة: آه . . كم أحبك . . ولا أتخيل حياتي بعيداً عنك بعد هذه اللحظة .

وتحسس أصابعها في لهفة وشوق . . وقال في فرحة: أنت لا تتصورين كيف اشتهيت ان اسمع صوتك او يرنو بصري اليك . . وتمنيت لو ان الله اعاد لي بصري لحظة واحدة اراك فيها وأتملى من ملامحك ، حتى لو أخذ مني بقية عمري .

قالت «نيفين»: إنك ستراني وسترى العالم كله . . سيعود الضوء الى عينيك .

أجابها في مرارة اليأس: مستحيل . . مستحيل . . فلست املك مئات الالوف لأجل ذلك .

قالت في صوت صاف ملائكي: إن كنت لا تملك فالله يملك هذا الكون وكل ما فيه ولن يضن على عباده وييسر السبل بواسطة البشر لتحقيق مشيئته . . وانا لم اشأ ان آتي اليك دون ان احمل معي نبأ ساراً . . فبعد نشر حادثتك في الجرائد بالأمس صدرت كل الجرائد اليوم وهي تدعو لتكريمك بأي شكل وعلاجك على نفقة الدولة . وعندما اشتريت الطبعة المسائية الاولى لجرائد الغد قبل مجيئي اليك كدت اطير فرحاً عندما وقع بصري على الخبر المنشور بشأن قرار الدولة بسفرك

على نفقتها لأي دولة في العالم لعلاج عينيك وزرع قرنية جديدة فيهما مهما كلف ذلك.

جمد «كريم» مكانه مذهولاً.. بدا كصنم لا يكاد يعي.. كانت المفاجأة اقوى منه.. طوقته الفرحة فانتشى جسده.. وتبللت عيناه بدموع الفرحة.. وامسك اصابع محبوبته وقبلها بتبتل هاتفاً: آه ايتها الحبيبة.. انا لا ادري كيف اشكرك.. فأنا الآن اشعر كأن بصري قد رد إليّ.. واراك بقلبي كما كانت عيناي تراك من قبل.. واذا قدر لي يوماً ان استعيد ما ضاع مني فلن تغيبي عن بصري ابداً، ولو غبت عن بصري.. ففي عينيك صار قدري حقاً.

فهمست تقول له: لن يفرقنا شيء بعد الآن ابداً.. ولن يأخذ انسان مكانك في قلبي.. ومنذ هذه اللحظة سأكون عينك التي تبصر العالم كله.. فلا تشعر بغربة فيه ابداً.

واشتبكت أصابعهما في لهفة جازمة..

وكان القلبان.. كل منهما يبصر الآخر بنور الحب.. وبصيرته.

* * *

عيناك .. قدري

في لحظة خاطفة مثل اشتعال البرق في السماء.. وقع «كريم» في هوى «نيفين»، تلك الفتاة الرقيقة الجميلة.. فتقدم للاقتران بها.

ثم تكشفت له المفاجأة المذهلة عندما اعترفت له محبوبته بسرها.. فكانت المفاجأة قاسية على «كريم».. وكان القرار هو الانفصال..

ولكن القلب ظل يحن ويهفو.. والعينان تشتاقان برغم بُعد المسافات.. فكيف حدث التحوّل.. وصارت عينا المحبوبة.. قدر الحبيب السابق؟

دار الجيل
للطبع والنشر والتوزيع
بيروت - لبنان